

Received on (26-11-2022) Accepted on (26-04-2023)
<https://doi.org/10.33976/IUGJIS.31.4/2023/11>

Allah's Laws and its Relation to Fate

Dr. Eman Abdul Karim Abu Mustafa^{*1}, Prof. Dr. Saad Abdullah Ashour^{*2}

Department of Islamic Aqida And Contemporary Doctrines -Faculty of Usoul Edden - The Islamic
University of Gaza^{*1,2}

*Corresponding Author: Emanabumustafa88@gmail.com

Abstract:

This research shows and highlights the importance of Allah's laws, their universal and social forms, and their distinctive characteristics. The research also examines the inextricable link between Allah's laws and fate and presents some examples of Allah's universal and social laws and shows the relationship between them and fate.

The researchers want this research to outline some of Allah's laws that govern according to Allah's fate and will that some might have overlooked. And how scientists have deduced and developed scientific discoveries and inventions that are in the service of humanity and consistent with The Book and the Sunnah. This underscores the necessity to return to the Qur'an, as it is the primary source from which we draw and take the teachings and laws to which nations judge their progress and development.

Keywords: Laws- Fate- Allah's.

السنن الإلهية وعلاقتها بالقدر

د. إيمان عبد الكريم أبو مصطفى¹، أ.د. سعد عبد الله عاشور²
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة- كلية أصول الدين- الجامعة الإسلامية بغزة^{1,2}

الملخص:

هذا البحث والموسوم بعنوان السنن الإلهية وعلاقتها بالقدر، يبين ويبرز أهمية السنن الإلهية بأنواعها الكونية والاجتماعية، وما تتميز به من خصائص ومميزات تميزها عن غيرها، كذلك تطرق البحث إلى بيان العلاقة الوطيدة بين السنن الإلهية والقدر، وطرح بعض النماذج من السنن الإلهية الكونية والاجتماعية وبيان العلاقة بينهما وبين القدر. أراد الباحثان من هذا البحث بيان بعض السنن الإلهية التي تسري وفق قدر الله وإرادته ومشئته، والتي ربما غفل عنها البعض، وكيف استنبط واستنتج منها العلماء الاكتشافات والاختراعات العلمية الخادمة للبشرية والموافقة لما ورد في الكتاب والسنة، وهذا يؤكد على ضرورة العودة إلى القرآن الكريم كونه المصدر والمنبع الأول الذي نستقي ونأخذ منه التعاليم والقوانين التي تتحاكم إليها الأمم في تقدمها وتطورها.

كلمات مفتاحية: السنن – القدر – الإلهية.

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعين به ونستغفبه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإن من أهم الموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة السنن الإلهية بأنواعها المختلفة وخاصة فيما يتعلق منها بالسنن الكونية لما لها من دور عظيم في نظام الكون، فإن الله ﷻ خلق نظام الكون، ونظام المجتمع بأكمله، وأقامه على سنن وقوانين ونواميس مطردة، دون أي تغير ولا تبديل، فهي سنن لا تختلف ولا تتخلف نتائجها عن مقدماتها، ولا تتفك أسبابها عن مسبباتها، إلا وفق علم الله ﷻ وحكمته وحكمته، ومما لا شك فيه أن عدم إدراكها يجعل الإنسان مسخراً؛ بدل أن يكون مسخراً لها، فهي لا تحابي أحداً، بل الكل في ميزانها سواء، وقد جعل الله ﷻ تلك السنن والنواميس الفاعلية وفقاً لقوانين ثابتة ومقادير معينة، فهي تسيّر وفق ما قدره الله لها، حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلْقْنَاهُ بِمَدَرٍ﴾ [القمر: 49]، وإذا اختلفت تلك المقادير والقوانين اضطرب واختل الكون.

وقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم تلك السنن والقوانين الثابتة والمطردة، التي تسيّر عليها البشرية لكي تصل للسعادة والنجاة في الدنيا والآخرة، فهو النبع الأصيل لإمداد الحياة بروافد الفكر المهتدي بنور الوحي الإلهي، فياض بالعلوم والمعارف، زاخر بروائع الحقائق، يستثيره الباحثون بالبحث والنظر فيعطيهم من خزائن حكمته ما تشاء عقولهم المسلمة من هديه وإرشاده، وهذه السنن الكونية والاجتماعية، موضوع اهتمام هذا البحث مع بيان علاقتها بالقدر، وكيف أنها تسيّر وفق نواميس مطردة، فالسنن الإلهية لها علاقة وطيدة بالقدر فإذا علمنا أن القدر هو تعلق علم الله أزلاً بالأشياء قبل أن توجد مع ربطها بأسبابها ومسبباتها وأن القضاء هو ظهورها في الواقع حسب العلم الإلهي عرفنا وأدركنا مدى العلاقة بين السنن الإلهية والقدر، فجميع السنن الإلهية تقع بمشيئة الله وقدره، فالسنن هي خلق الله وقوانينه ومنهجه وفق مشيئة الله وعدله وقضائه وقدره في جميع مخلوقاته، فالتعمق بالسنن الإلهية يعطي المرء القدرة على التساير مع إرادة الله ﷻ في الكون والتأقلم معها والقيام بأمانة الاستخلاف في الأرض، لذلك وسم البحث بعنوان "السنن الإلهية وعلاقتها بالقدر".

أولاً: أهمية البحث.

- 1- بيان الارتباط الوثيق بين السنن الإلهية والقدر.
- 2- أن القرآن الكريم قد دعا إلى التفكير والنظر والتأمل في الكون ومعرفة سنن الإلهية في الأنفس والأفاق.
- 3- إن التعمق في السنن الإلهية من خلال القرآن الكريم يدفع الباحثين إلى البحث العلمي والاكتشافات العلمية الخادمة للبشرية.
- 4- إن دراسة السنن الكونية والاجتماعية مما يحتاجه العالم والمفكر والداعية وذلك لما فيها من الإصلاح والارتقاء بالأمم والتقدم الحضاري والعلمي.
- 5- بيان أثر هذه السنن على البشرية ليعتبر الناس بها ويستفيدوا منها، وأن ما يقع في الكون من وقائع ليس هو من قبيل الصدفة وإنما هو وفق سنن إلهية تجرى وفق قضاء الله وقدره.

ثانياً: أهداف البحث.

- 1- التعرف على حقيقة السنن الإلهية، وبيان أهميتها وخصائصها.
- 2- توظيف السنن الكونية في الاكتشافات والنظريات العلمية.
- 3- بيان بعض النماذج من السنن الكونية والاجتماعية وربطها بالقدر.
- 4- دراسة السنن الإلهية تجعلنا أقدر على تسخير كل ما في الكون والاستفادة من ذلك في كافة شؤون حياتنا الدينية والدنيوية.

ثالثاً: الدراسات السابقة.

بعد البحث في فهارس الكتب والمكتبات، والمواقع الإلكترونية حول من كتب في مثل هذا العنوان لم أعثر على بحث محكم يمثل هذا العنوان -السنن الإلهية وعلاقتها بالقدر- لكن هناك الكثير من الكتب والأبحاث المتعلقة بالسنن الإلهية بشكل عام منها:

1- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، للدكتور عبد الكريم زيدان، أستاذ الشريعة ورئيس قسم الدين بكلية الآداب بجامعة بغداد.

2- السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم، للدكتور مجدي محمد عاشور

3- السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم للباحث أيمن المغربي، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى -السعودية-.

رابعاً: منهج البحث:

المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على تحليل النصوص بهدف استنباط ما فيها من السنن الكونية والاجتماعية وبيان علاقتها بالقدر.

خامساً: حدود البحث:

سيتناول البحث الحديث على تعريف السنن الإلهية والقضاء والقدر وذكر أنواع كل منهما، وبيان أهمية وخصائص السنن الإلهية، والتطرق إلى بعض النماذج من السنن الكونية والسنن الاجتماعية وبيان علاقتها بالقضاء والقدر.

سادساً: خطة البحث.

يتكون البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة وهي على النحو التالي.

المقدمة وتشمل على: أهمية موضوع البحث، وأهدافه، بالإضافة إلى الدراسات السابقة، وحدود ومنهج البحث.

المبحث الأول: تعريف السنن الإلهية والقضاء والقدر وأنواع كل منهما.

المبحث الثاني: أهمية وخصائص السنن الإلهية، وعلاقتها بالقدر.

المبحث الثالث: نماذج من السنن الإلهية الكونية وعلاقتها بالقدر.

المبحث الرابع: نماذج من السنن الإلهية الاجتماعية وعلاقتها بالقدر.

الخاتمة: فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحثان.

المبحث الأول

تعريف السنن الإلهية، والقضاء والقدر، وأنواع كل منهما.

المطلب الأول: تعريف السنن الإلهية لغةً واصطلاحاً.

أولاً: تعريف السنن لغةً.

للسنة - واشتقاقاتها - في اللغة دلالات واسعة، واستعمالات كثيرة؛ والباحث في معاجم اللغة يدرك هذا التوسع في الدلالة،

والكثرة في الاستعمال، ولكن سيقصر الباحثان على المعاني المرادة لعنوان البحث.

فالسنة في اللغة تعني الطريقة والسيرة سواءً أكانت حسنة أم قبيحة، والطريق والسنة قد يراد بها الطريقة المحمودة المستقيمة أو

الطريقة القبيحة المذمومة⁽¹⁾ وذلك كما ورد في قوله ﷺ: "مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ

(1) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ج2/409). لسان العرب، ابن منظور (ج13/225-226). الفيومي، المصباح المنير

(ج1/291).

عَمَلٍ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ"⁽²⁾، وسنة رسول الله ﷺ هي سيرته، وتأتي السنة أيضًا بمعنى جريان الشيء واطراده بسهولة، وسميت السنة بالسيرة لأنها تجري جرياً، قال ابن فارس: "السين والنون أصل واحد مطرد وهو جريان الشيء واطراده في سهولة"⁽³⁾، ويقال سنّها الله ﷻ للناس أي بينها، وسنّ الله ﷻ سنة أي بين طريقاً قويمًا، كما في قوله ﷺ: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: 38] ⁽⁴⁾.

ثانياً: تعريف السنة النبوية اصطلاحاً:

اختلفت تعريفات العلماء للسنة النبوية تبعاً لاختلافهم في تخصصاتهم وأغراضهم، وفيما يلي تعريفها عند كل من الأصوليين والفقهاء والمحدثين.

تعريف السنة عند الأصوليين: "هي ما صدر عن النبي ﷺ غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن تكون دليلاً لحكم شرعي"⁽⁵⁾، أما عند الفقهاء: "فهي ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراض ولا وجوب وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة"⁽⁶⁾، وأما عند المحدثين فهي: "ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء أكانت قبل البعثة أم بعدها"⁽⁷⁾.

وقد عرف ابن تيمية السنة النبوية: "ما قام الدليل الشرعي عليه بأنه طاعة لله ﷻ ورسوله ﷺ سواء فعله رسول الله أو فعل على زمانه أو لم يفعله ولم يفعل على زمانه لعدم مقتضى حينئذ أو وجود المانع منه"⁽⁸⁾، فالمقصود من هذا التعريف المعنى العام للسنة، وهو الطريقة والسيرة المحمودة الموافقة لهدي الرسول ﷺ وعمل الصحابة ﷺ، ولا سيما الخلفاء الراشدين. وكما تطلق السنة على العقيدة الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة النبوية، حيث أطلق السلف مصطلح السنة على أصول الدين، أي الأمور الاعتقادية فهي أي -السنة- "عبارة عما سلّم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر فضائل الصحابة"⁽⁹⁾.

ثالثاً: تعريف الإلهية لغة.

الإلهية مشتقة من كلمة إله مضاف إليها ياء النسب، ومؤنثة لتأنيث كلمة السنن، وأله بالفتح أي عبد عبادة، والتأليه: التعبيد، والتأله: التنسك والتعبد، وأله الإله: الله، وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إله عند متخذه، والجمع آلهة⁽¹⁰⁾.

رابعاً: تعريف السنن الإلهية اصطلاحاً.

- (2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب العلم، باب مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ، (ج4/2059)، حديث رقم: 1017.
- (3) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ج3/60-61) بتصرف.
- (4) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص429).
- (5) السنة قبل التدوين، الخطيب (ص16). تدوين السنة النبوية ونشأتها وتطورها، الزهراني (ص16).
- (6) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي (ص48). انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني (ج1/95).
- (7) السنة النبوية ومكانتها، محمد باجمعان (ص8). السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي، السباعي (ص47).
- (8) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج21/317-318).
- (9) كشف الكربة في وصف أهل الغربة، ابن رجب الحنبلي (ص320).
- (10) الصحاح، الجوهري (ج6/2223-2224). لسان العرب، ابن منظور (ج13/467).

بناءً على ما سبق بيانه يمكن تعريف السنن الإلهية بأنها الطريق التي يضعها الله ﷻ لسير الحياة، فهي: " الطريقة المتبعة في معاملة الله ﷻ للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأبنيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة" (11).

وأيضاً يمكن تعريفها بأنها "منهج الله ﷻ في تسيير هذا الكون، وعمارته، وحكمه، وعادة الله ﷻ في سير الحياة الإنسانية، وعادته في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين طبق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله" (12)، فهي أقدار الله ﷻ وأوامره وأحكامه مما يدل على قدرته ومشيتته ﷻ، ولعل هذا التعريف يصف منهج الله ﷻ في تسييره لأمر الخلق، وأن هذا المنهج يطبق وفق علم الله وحكمته ﷻ.

فالسنن الإلهية هي القوانين والنواميس الحاكمة التي تحكم حياة الأمم وفق مشيئة الله ﷻ الشاملة والمطلقة، وأن ما وقع منها في الماضي يقع في الحاضر، فهي تجري باطراد وثبات في حياة الأمم (13).

المطلب الثاني: تعريف القضاء والقدر لغةً واصطلاحاً.

أولاً: تعريف القضاء لغةً واصطلاحاً.

أ- تعريف القضاء لغةً.

القضاء بالمد، ويُقصر أصله قَضَيْ، فلما جاءت الياء بعد ألف زائدة متطرفة هُزمت، والجمع أفضية (14)، والقضاء في اللغة يأتي بمعانٍ كلها ترجع إلى الحكم، والإعلام، والإيقان، والصنع والتقدير، والفراغ، والانتهاه، وأيضاً يأتي بمعنى الخلق (15)، "فانقطاع الشيء وتمامه وكل ما أحكم عمله أو أتم أو ختم أو أعلم أو أنفذ أو أمضى فقد قضى" (16)، ويأتي بمعنى الفراغ والانتهاه كما في قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونَ﴾ [يونس: 71]، أي: افرغوا وانتهوا من أمركم وامضوا إلي (17)، وبمعنى الهلاك كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: 11].

ب- تعريف القضاء اصطلاحاً.

يقصد بالقضاء بأنه هو المقدور، فكل شيء سواء أكان خيراً أو شراً يصيب الإنسان، فهو قضاء الله ﷻ (18)، فما من أمرٍ من أمور الدنيا خلقه الله ﷻ فهو مما قدره ﷻ في الأزل وعند خلقه ووقوعه يكون قضاءً، فالقضاء هو إرادة الله ﷻ الأزلية المتعلقة بالأمور والأشياء كافة وإيجاده إياها على ما ستكون عليه في المستقبل وذلك حسب علمه وإرادته (19)، ويمكن تعريفه بأنه "الحكم الكلي الإجمالي في الأزل" (20).

(11) السنن الإلهية في الأمم والجماعات، عبد الكريم زيدان (ص10).

(12) السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، شريف الخطيب (ص27)

(13) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (ج1/479-480)

(14) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (ج6/2463). تاج العروس، مرتضى الزبيدي (ج39/315-316).

(15) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ج5/99). لسان العرب، ابن منظور (ج15/186-188). تهذيب اللغة، الأزهرى (ج9/169-170). الصحاح

تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (ج6/2463-2464).

(16) تهذيب اللغة، الأزهرى (ج9/170-169). النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ج4/78)

(17) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني (ص675).

(18) انظر: دقائق التفسير، ابن تيمية (ج2/295). الحسنة والسيئة، ابن تيمية (ص81-82).

(19) انظر: لوامع الأنوار البهية، السفاريني (ج1/345). العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني (ص729). العقيدة الإسلامية، مصطفى الخن

ومحي الدين مستو (ص459).

(20) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (ج11/477).

ونستطيع القول بأن القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله ﷻ به في الأزل، وما قضى به الله ﷻ في خلقه من إيجاد، أو إعدام، أو تغيير حسب علمه وإرادته⁽²¹⁾.

ثانياً: تعريف القدر لغةً واصطلاحاً.

أ- تعريف القدر لغةً.

"القدر مصدر الفعل قَدَرَ يَقْدِرُ قَدْرًا، وقد تسكن داله"⁽²²⁾، قَدْرُ الشيء أي مَبْلَغُ الشيء ونهايته، والقَدْرُ القضاء والحكم وما يقدره الله من القضاء⁽²³⁾، وقدرت فعل كذا وكذا أي عزمت عليه ونويت علي فعله⁽²⁴⁾، ويقال إذا وافق الشيء الشيء أي: جاء قَدْرُهُ، والقدر يطلق على معنيين المعنى الأول: التقدير: وهو التروي والتفكير في التسوية لفعل أمر ما، وإرادة الله ﷻ لوقوعه فهو يتعلق بأفعال العباد، والمعنى الثاني: المقدر أي ما قدره الله ﷻ، والقَدْرُ كَالْقَدْرِ، وهو لا يكون إلا في أفعال الله ﷻ والجمع أقدار، وقدر الله ﷻ لا يكون إلا حسنًا⁽²⁵⁾.

تعريف القدر اصطلاحاً.

القدر هو علم الله ﷻ للأزلي للأشياء بمقاديرها وأزمانها وأوقاتها قبل وقوعها في المستقبل، فلا يحدث أي شيء مهما كان كبيراً أم صغيراً إلا وقد علمه الله ﷻ وكتبه في اللوح المحفوظ، وقدره وخلقه وشأؤه ووقع بإرادته ﷻ وجزئياته وتفصيله وأسبابه ومقدّماته ونتائجها كافة بحيث لا يتأخر شيء من ذلك⁽²⁶⁾، وقد عرفه الإمام ابن تيمية -رحمه الله- بأنه: "هو عموم قدرته ومشيتته وخلقه"⁽²⁷⁾.

وعليه فيمكن تعريف القضاء والقدر بأنه: "ما سبق به القلم وجرى به العلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه ﷻ قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل وعلم أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها"⁽²⁸⁾، أو هو "النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود، والقوانين العامة، والسنن التي ربط الله بها الأسباب بمسبباتها"⁽²⁹⁾، وقد عرفه ابن تيمية تعريفاً مختصراً فقال: "هو علم الله ﷻ وكتابه وما طابق ذلك من مشيئته وخلقه"⁽³⁰⁾.

فالقدر علم الله ﷻ الأزلي والمكتوب في اللوح المحفوظ، والقضاء: هو ما طابق ذلك من مشيئته وخلقه ﷻ، فالتعريف الأخير يشمل مراتب القضاء والقدر الأربعة، فهو علم الله ﷻ المحيط بمقادير الخلائق، وكتابه، ومشيتته لها، وخلقه لكل ما هو كائن ليوم القيامة.

المطلب الثالث: أنواع السنن الإلهية.

السنن هي قوانين الله ﷻ في خلقه، لذا فهي تتصل بعدد كبير من الموضوعات، ويمكن تصنيفها حسب طبيعة الموضوع الذي تعمل فيه، وسنقتصر في هذا البحث على بيان بعض أنواعها.

(21) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين (ج2/188).

(22) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ج4/22).

(23) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (ج2/786). لسان العرب، ابن منظور (ج5/74). القاموس المحيط، الفيروز آبادي (ص460).

(24) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري (ج9/41-42).

(25) انظر: لسان العرب، ابن منظور (ج5/76). الفروق اللغوية، أبو الهلال العسكري (ص191).

(26) انظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (ج1/118). عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري (ص245). الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح الفوزان (ص297).

(27) مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه، ابن تيمية (ص448).

(28) نواع الأنوار البهية، السفاريني (ج1/348).

(29) العقائد الإسلامية، سيد سابق (ص95).

(30) قاعدة في المحبة، ابن تيمية (ص169).

النوع الأول: باعتبار الفاعلية الموهوبة للإنسان من الله ﷻ .

يمكن تقسيمها إلى ما يلي (31):

1- السنن الاختيارية: وهي تلك السنن التي يمتلك الإنسان معها فاعلية واختيارًا، فهي أي السنن والقوانين التي أوجدها الله ﷻ، فمن شاء سار فيها على الوجه الذي يريد ويحقق القانون فيه عمله، وبذلك يكون السعي من الإنسان في القانون هو مقدمة القانون أو شرطه والأثر المتحقق للقانون هو نتيجة القانون أو جزؤه، مثل سنة الأسباب والمسببات فمن أخذ بأسباب شيء ناله ومن ترك أسبابه لم ينله، خيرًا كان أو شرًا، فالسبب مقدمة والمسبب نتيجة، وسنة الله أن جعل لكل شيء سببًا، فمن أخذ بأسباب الهداية اهتدى ومن أخذ بأسباب الضلال ضل، والإنسان مختار بأي الأمرين أراد (32).

2- السنن غير الاختيارية: وهي التي لا يملك الإنسان تجنبها أو الابتعاد عنها، بل تعمل فيه جبراً عنه، وكل ما يملكه، هو كيفية التفاعل معها لا قبولها أو ردها، فتعمل في الإنسان جبراً عنه، ولا شرط لتعمل هذه السنن في الإنسان، ومثالها سنة الابتلاء، فكل إنسان مبتلى، ولا يخلو أحد من هذه السنة، وهو مبتلى بالخير، كما أنه مبتلى بالشر، وهي - سنة الابتلاء - تعمل في الغني والفقير، المؤمن والكافر، كما أنها تعمل في الفرد والجماعة، ولا يملك الإنسان دفعها أو الهروب منها ولكن يملك اختيار الطريق الذي يريد طريق الهداية أو طريق الضلال، طريق النجاة أو طريق الخسران (33).

النوع الثاني: باعتبار محل عملها وتنقسم إلى ما يلي

1- السنن التشريعية: وهي ما جرى من قوانين لله ﷻ في شرعه من مثل رفع الحرج والتكليف في ما لا يطيق المرء، وضرورة اشتغال الأديان على عناصر أساسية من العقائد والعبادات والمعاملات، وموافقة شرع الله ﷻ ودينه لظاهرة الإنسان وعدم التعارض بينهما، أي هي النواميس التي سنّها الله ﷻ في الأديان، وتتضمن السنن التشريعية والقواعد والضوابط العامة التي يجب أن تكون شريعة للأفراد والجماعات عامة (34).

2- السنن الكونية القدريّة الطبيعية: وهي النواميس التي تنظم سير الطبيعة وتحكم عملها فتتظم شأن الكون بما فيه من ماديّات فهي ما يتعلق بأمر الطبيعة وحقائق الأشياء والظواهر والأحداث المادية والطبيعية غالبًا، فهي الظواهر الكونية التي أسس عليها الكون من سماوات وأرض ومجرات وبحار، وهي ما أَرَادَهُ اللهُ ﷻ بقوله: ﴿سُنُّهُمْ آيَاتًا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكُفِّ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: 53] (35)، وهي "الנוاميس التي تسيّر وفقها الماديّات" (36)، فالسنن الكونية هي الطرق التي يصرف الله بها الكون بما فيه مصلحة للعباد، ومن الأمثلة عليها سنن التوازن كما في قوله ﷻ: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَفْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونًا﴾ [الحجر: 19]، وسنن عدم التدارك أو التصادم كما في قوله ﷻ: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40].

(31) انظر: سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، محمد هيشور (ص 27)

(32) انظر: السنن الإلهية في النفس الإنسانية في الحديث النبوي، آلاء الفوارعة (ص 30-31)

(33) انظر: المرجع السابق (ص 30-31)

(34) انظر: على مشارف القرن الخامس عشر، دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر، إبراهيم الوزير (ص 10)

(35) انظر: السنن الإلهية، حسني العطار (ص 19-20). السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، توفيق الغليزوري (ص 7)

(36) سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم، نصر الله الشريف (ص 13).

3- **السنن الاجتماعية والانسانية:** هي تلك السنن التي تتعلق بسلوك العباد وأفعالهم ومعتقداتهم وسيرتهم في الدنيا، وفق أحوال الاجتماع وال عمران البشري، وما يترتب على ذلك من نتائج في العاجل والآجل⁽³⁷⁾، وهذه السنن لا بد لكي تعمل في الأمة أن تكون مجتمعة الأفراد فلا يكفي فيها فعل الفرد وحده، بل إن جميع أفراد الأمة عليهم المسؤولية، وهذا يعني أغلب الأمة والحال الأظهر فيها لا تقصي حال أفرادها فرداً فرداً، ومثال هذا سنن النصر، فلا يكفي الأخذ من أفراد في الأمة معدودين بأسباب النصر لتحقيق النصر الذي تريد، بل لا بد أن تكون الأمة بمجموعها تسعى للنصر وتعمل له، وهذا واضح من سيرة الأنبياء مع أقوامهم فما هُزِمَ قوم نبي بسبب ترك الأنبياء أسباب النصر، بل لترك مجموع القوم أسباب النصر، وحال هذه السنة ظاهر في غزوة أحد، ولا يكفي لتغيير أمة من الهوان والذل الذي تعيشه إلى العز والسؤدد إلا إذا أصبح السعي لهما هدفاً عند عامة الأمة لا عند أفراد قليلة فيها، ولا يتغير حال أمة من حال إلى آخر إلا بتغيير ما بنفوس أفرادها، كما في ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ

وَال [الرعد: 11] (38).

وقد وضح الإمام ابن تيمية رحمه الله - الفرق الدقيق بين السنن الكونية والسنن الاجتماعية بعدما ذكر السنن الاجتماعية والكونية بقوله "...وهذه السنن كلها سنن تتعلق بدينه، وأمره ونهيه، ووعده ووعدته، وليست هي السنن المتعلقة بأمر الطبيعة، كسننته في الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من العادات"⁽³⁹⁾، فسنن الله ﷻ في المجتمعات البشرية ما هي إلا امتداد طبيعي لسننه في المجالات الكونية، لأنها قوانين واحدة، وأسباب واحدة، ونواميس واحدة، تصدر عن إرادة واحدة، وتتبتق عن مشيئة واحدة.

المطلب الرابع: أنواع القضاء والقدر.

ينقسم القدر إلى نوعين⁽⁴⁰⁾ وهما كما يلي:

- 1- **النوع الأول: القدر المطلق، أو المبرم:** وهو ما في اللوح المحفوظ دون غيره من الصحف، وهو ما علمه الله ﷻ أنه يقع وهو مستقر الأمر الذي يعلمه الله ﷻ ولا تعلمه الملائكة وهذا النوع من أنواع القدر ثابت فلا محو فيه ولا إثبات.
- 2- **النوع الثاني: القدر المعلق أو المقيد:** وهو المعلق بالأسباب التي هي من ضمن ما قدره الله ﷻ وكتبه، وهو ما يوجد في صحف الملائكة وكتبته الملائكة، وكذلك مع وجوده في اللوح المحفوظ، وهذا النوع من أنواع القدر الذي يقع فيه المحو والإثبات، وقد علمه الله ﷻ وكتبه وشاءه ولكنه علق خلقه على ثبوت أسبابه وانتقائها.

المبحث الثاني: أهمية وخصائص السنن الإلهية، وعلاقة السنن الإلهية بالقدر.

المطلب الأول: أهمية إدراك السنن الإلهية.

إن الحاجة إلى فهم السنن الإلهية بمختلف أنواعها، وحسن التعامل معها، والتحكم فيها لحاجة ماسة وضرورة ملحة للبشرية جمعاء؛ وذلك حتى يستعيدوا فاعليتهم وقدرتهم على التغيير والإصلاح، وبذلك تنتفي العشوائية والتخبط من حركتهم، والفوضى الفكرية من عقولهم، والإرجائية والجبرية من مواقفهم، وذلك لن يكون بطبيعة الحال إلا بالقضاء على التفسير والفهم الخاطئ للوقائع الاجتماعية، ورفع أسباب الكسل والخمود، والركود والجمود، التي عطلت العقول عن إدراك سنن الله ونواميسه في الكون والمجتمع، والتي أخرجت الأمة المسلمة من تدافع عالم المادة والشهادة والحركة إلى حال من السلب والتواكل، وشاعت فيها عقيدة الجبر والإرجاء

(37) انظر: السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، توفيق الغليزوري (ص7)

(38) انظر: السنن الإلهية في النفس البشرية، آلاء الفوارعة (ص32)

(39) جامع الرسائل، ابن تيمية (ج52/1)

(40) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج488/14-492) (ج517/8)

التي انحرفت بركن القضاء والقدر إلى تعطيل قانون السببية تعطيلًا كاملاً⁽⁴¹⁾، ويمكن إدراك أهمية السنن الإلهية من خلال النقاط التالية:

- 1- إن إدراك السنن الإلهية لعامل مهم وركيزة أساسية في حفظ كيان الأمة من الاضطراب والفناء، وأساس في رفعتها ودوام قوتها، فمعرفة السنن الإلهية تعرفنا بأسباب نهوض الأمة أو العكس.
- 2- إن إدراك السنن الإلهية يؤدي ويقود إلى اليقين التام بأن للعالم الإنساني نظامًا دقيقًا وقانونًا مقدرًا لا تستطيع أن تعدوه الأمم دون أن تصاب بما يستتبعه عدوانها من المثالات وما يجره من الانحرافات⁽⁴²⁾، فالسنن الإلهية تؤكد ترتيب النتائج على المقدمات، وضرورة وأهمية الأخذ بالأسباب، وذلك لارتباط الأسباب بمسبباتها، ومجازات البشرية جمعاء على ما كسبته أيديهم.
- 3- إن معرفة السنن الإلهية جزء من معرفة الدين، أو لجزء من الدين، وأن هذه المعرفة ضرورية، ومن الواجبات الدينية وذلك، لأنها تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتى لا نقع في الخطأ والغرور والأمانى الكاذبة⁽⁴³⁾، فهي من أعظم الوسائل لكمال علم الله وصفاته وأفعاله.
- 4- إن الوعي بالسنن الإلهية يقود إلى السير باطمئنان واتزان في الحياة، فإن تقرير الله لوجود هذه السنن وثباتها كقوانين لا تتخلف، يُولد ويوجد لدى المرء الشعور بالطمأنينة والأمن والأمان في جميع سلوكه وحركاته، فالاطمئنان الذي ينشأ عن هذه السنن والإيمان بثباتها واطرادها يشكل عاملاً مهماً في صلاح المرء وممارسة دوره في عمارة الأرض والاستخلاف فيها دون قلق، فمعرفة المرء بها تمنحه قدرة على تفسير الأحداث وتحليلها تحليلًا سليمًا ومنطقيًا والتعامل معها⁽⁴⁴⁾.

المطلب الثاني: خصائص السنن الإلهية.

إن السنن الإلهية تمتاز بخصائص ومميزات ينبغي على المرء إدراكها ومعرفتها، فالعلم بخصائص الشيء ومميزاته له عظيم الفائدة وأدعى إلى فهمه والاستفادة منه، فهذه السنن خصائصها ومميزاتها واضحة التعاليم وبينه صريحة لا يعترها أي لبس أو غموض ومن أهمها ما يلي:

أولاً: الربانية.

وتُعد أهم خاصية للسنن الإلهية، فمصدرها هو الله ﷻ، فهي مرتبطة به ﷻ خلقًا وإيجادًا وتقديرًا، وليس لأحد من الخلق أي تدخل فيها، لهذا نجد أن أغلب ورود لفظ السنة أو السنن إما أن يكون مضافاً إلى لفظ الله ﷻ صراحة، أو الضمير العائد على الله ﷻ كما في قوله ﷻ: ﴿سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَكَانَ لِسُنَّةِ اللَّهِ بُدِيلًا﴾ [الفتح: 23]، أما حين إضافتها لغير الله ﷻ، من الرسل أو الأنبياء أو غيرهم، فإن إضافتها إليهم على اعتبار تعلقها بهم، وإنما هي سنة الله ﷻ فيهم، وهذه الخاصية هي التي تعطي السنن الإلهية قيمتها وتميزها عن غيرها، فكونها من عند الله ﷻ فهذا يكسبها الثقة في أنها المنهج الخالي والمنزه من الجهل والهوى والانحراف⁽⁴⁵⁾.

ثانياً: العموم والشمول.

وهذه الخاصة تعني أن السنن الإلهية تشمل كل البشر والخالق، ولا تفرق ولا تحابي بين أحد منهم، يسري حكمها على الجميع دون تمييز، فهي حاکمة على جميع الأفراد والأمم والجماعات⁽⁴⁶⁾ كما في قوله ﷻ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا

(41) انظر: السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، توفيق الغليزوري (ص9).

(42) مهمة الدين الإسلامي في العالم، محمد وجدي (ص298).

(43) انظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان (ص12).

(44) انظر: حول إعادة تشكيل العقل المسلم، عماد الدين خليل (ص53-54).

(45) انظر: السنن الإلهية وحركة النهضة الإنسانية، حسني العطار (ص13). السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، توفيق الغليزوري (ص18).

(46) انظر: السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع، السيد طه (ص4). السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم، أيمن المغربي (ص61).

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿[آل عمران: 137-138]﴾ ، فالآية سابقة الذكر دلت على أن سنة الله جرت في الذين من قبلنا من الأمم السابقة، فليتكفر وليتدبر أصحاب العقول والقلوب، ومن هذه السنن أن جعل العاقبة للمتقين المؤمنين، والدائرة على الظالمين المكذبين، "ولولا ثبات السنن وإطرادها وعمومها لما كان معنى في ذكر قصص الأمم السابقة مطلب الاعتبار بما حل بهم، ولكن لما كان ما جرى لهم وعليهم يجري على غيرهم إذا فعلوا فعلهم، حسن ذكر قصصهم وطلب الاعتبار والاتعاظ بها"⁽⁴⁷⁾.

قال ابن تيمية -رحمه الله- عن عموم وشمول سنن الله: "وسنته عادته التي يسوي فيها بين الشيء وبين نظيره الماضي وهذا يقتضي أنه ﷺ يحكم في الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة"⁽⁴⁸⁾

ثالثاً: الثبات والدوام.

إن من خصائص السنن الإلهية خاصية الثبات والدوام، أي أنها لا تتأثر بعوامل الزمان والمكان ولا تتغير، ولا تتبدل، ولا تتحول، وهي تجري على الآخرين كما جرت على الأولين، قال ﷺ: ﴿سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 62]، وثبات السنن وعدم تغيرها وتحولها أمر لا يختلف فيه اثنان، ولا ينتطح فيه عنزان كما يقال، ويدل عليه تاريخ الأمم والواقع المشهود، فكل من جاء بالأسباب وأتى بالموجبات تحققت فيه سنن الله وأحاطت به، كما في قوله ﷺ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 43]⁽⁴⁹⁾، فسنة الله ﷺ ثابتة ومطرده وعمامة غير مقتصرة على فرد دون فرد ولا على قوم دون قوم، والحكمة من صرامة وثبات السنن الإلهية هو أن تنضبط الموازين وتستقر معايير الحكم على الأشياء والمواقف والأحداث، وجميع ما يتعلق بالمنظومة الكونية⁽⁵⁰⁾.

رابعاً: حتمية الوقوع والنفاد.

إن هذه الخاصية تتعلق وترتبط بالخاصية التي سبقها، فقوله ﷺ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 43] يقضي بأن هذه السنة متحققة لا محالة.

ويدل على خاصية حتمية الوقوع والنفاد قوله ﷺ: ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 47]، وسنن الله ﷺ كما هو قضاؤه متحققة لا محالة، وذلك لأن السنن جزء من القضاء، ولا راد لأمر الله ﷻ ولا لقضائه، ولن يستطيع البشر بكل ما أوتوا من قوة أن يحولوا دون وقوع سنن الله ﷻ وتحققها ونفاذها، فكل القوى أمام قوة الله ﷻ لا شيء⁽⁵¹⁾، قال سيد قطب -رحمه الله- "فوعده صادر عن إرادته الطليقة، وعن حكمته العميقة، وهو قادر على تحقيقه، لا راد لمشيتته، ولا معقب لحكمه، ولا يكون في الكون إلا ما يشاء"⁽⁵²⁾ كما في قوله ﷺ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 6].

(47) السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم، أيمن المغربي (ص62)

(48) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج13/23)

(49) انظر: مدخل إلى دراسة السنن الإلهية، مجدي عاشور (ص81). السنن الكونية والاجتماعية في ضوء القرآن الكريم، توفيق الغلبزوري (ص21-22).

(50) انظر: مجلة البيان، العدد 115 (ص50)، مقال بعنوان العلم بالسنن الربانية، محمد أمحزون.

(51) انظر: السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراق المستقبل، عماد خصاونة وخضر قزق (ص218)

(52) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج7/447)

وسنن الله ﷺ نافذة وواقعة لا تتخلف، فحيث ما وجد مقدمات الأمر أو السبب كانت نتيجته متلازمة معه، لهذا قص الله ﷻ علينا قصص الأمم السابقة لتكون لنا عبرة وعظة، حتى لا نفعل مثل ما فعلوا فهلك مثل ما هلكوا، بل يريد الله ﷻ منا أن نأخذ بأسباب الحيطة والحذر أن يصيبنا ما أصابهم، وفيه إفادة أن الأمر متحقق الوقوع والنفاد⁽⁵³⁾.

المطلب الثالث: علاقة السنن الإلهية بالقدر.

مما لا شك فيه أن القضاء والقدر يقوم على أربعة مراتب وهي، العلم، الكتابة، المشيئة، الخلق، والناظر إلى هذه المراتب يجدها تتضمن صفات الله ﷻ، وقد شرح الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله- هذه المراتب بالتفصيل⁽⁵⁴⁾، وقد اختصارها الإمام ابن تيمية -رحمه الله- في بيت الشعر الآتي:

عِلْمٌ كِتَابَةٌ مَوْلَانَا مَشِيئَةٌ وَخَلْقُهُ وَهُوَ إِيجَادٌ وَتَكْوِينٌ⁽⁵⁵⁾.

وعلم الله ﷻ شامل لكل الأشياء وما يتعلق بها، والسنن تدخل في متعلقات الأشياء التي أحاط الله ﷻ بعلمها، فهي جزء من القدر، فقد عرف شريف الخطيب في كتابه السنن الإلهية -القدر- بأنه: "علم الله بالأشياء ومقاديرها، وقوانينها، وسننها قبل حدوثها..."⁽⁵⁶⁾، وإذا علم المرء أن القدر هو علم الله ﷻ أولاً بالأشياء قبل أن توجد مع ربطها بأسبابها ومسبباتها، وأن القضاء هو ظهورها في الواقع حسب العلم الإلهي أدرك مدى العلاقة الوثيقة بين السنن الإلهية والقدر، فالارتباط والعلاقة وثيقة ووطيدة بين سنن الله ﷻ وبين القدر، وذلك لأن السنن مما قدره الله ﷻ، فقد قدر الله ﷻ للعباد والأشياء ولجميع المنظومة الكونية أن تسير منظمة وفق قوانين وسنن أرادها ﷻ وبينها، والسنن ونتائجها وما يترتب عليها كلها من قدر الله ﷻ⁽⁵⁷⁾.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، قَالَ: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَاقَبَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَسَقْيِي أَوْ سَعِيدِي، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا زِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا زِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ"⁽⁵⁸⁾، فالحديث السابق يوضح سبق علم الله ﷻ بحال المرء وبما يكون منه، كما يوضح أن السنن من قدر الله ﷻ فإن كل ما قدره ﷻ قدر معه سببه وقدره وفق سنته التي سننها، ومما لا شك فيه أن الجميع مدرك أنه لا يقع شيء في تلك المنظومة الكونية إلا بقدر الله ﷻ، وكذلك فإن الأمور والحوادث كبيرها وصغيرها لا يمكن أن يحدث فيها شيء إلا بأمر الله وإرادته ﷻ⁽⁵⁹⁾، فكون سنن الله ﷻ لا تتبدل ولا تتحول لدليل على كون أفعال الله ﷻ جارية وفق الحكمة والعدل المطلق، كما أن سننه ﷻ قائمة على ربط السبب بالمسبب والنتائج بالمقدمات، وذلك فيه اعتبار للأسباب التي جعلها الله ﷻ أسبابًا يحصل عندها المطلوب.

ويتضح من تعريف السنن الإلهية كونها هي المنهج والطريقة التي وضعها الله ﷻ ليسيير الكون بما فيه من مخلوقات مختلفة بناءً على قوانين وأنظمة، وأن الخلق والأمر صادر عن حكمته وعلمه، وإذا كان القدر هو مجموعة الأوامر والأحكام الإلهية التي وقع

(53) انظر: السنن الإلهية، حسني العطار (ص19). السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراق المستقبل، عماد خصاونة وخضر

قرق(ص218)

(6) انظر: شفاء العليل، ابن قيم الجوزية (ص 77-123).

(7) القصيدة التائية في القدر، ابن تيمية (ص42).

(56) السنن الإلهية، شريف الخطيب(ج1/59)

(57) انظر: السنن الإلهية في النفس البشرية، ألاء الفوارعة (ص55)

(2) [صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (ج4/111)، حديث رقم3208].

(59) انظر: السنن الإلهية وعلاقتها بقضايا العقيدة، الكري (5-6)

تقديرها ووضعها ضمن خطة مضبوطة، فإن استيعاب الخطة وتنفيذها على أرض الواقع بمراحلها المتعددة لا يتم إلا عبر مستلزمات وهذه المستلزمات هي السنن الإلهية.

والسنن الإلهية الكونية والاجتماعية لها علاقة بالقدر، أما السنن الاجتماعية فعلاقتها وطيدة بالقدر فنرى أن البشرية جمعاء يخضعون لقوانين ثابتة تسمى بالسنن في تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في الحياة وما يترتب على ذلك من نتائج كالرفاهية أو الضيق في العيش، والسعادة والشقاء، والقوة والضعف، وهذه كلها تقع وفق قضاء الله وقدره ومشيئته وإرادته ﷻ، وأن ما هم عليه، وما أصابهم لم يحدث شيء من ذلك مجرد (الصدفة) أو خبط عشواء، بل كان نتيجة حتمية لما فعلوه أو قصروا في فعله، وليعلموا أيضاً على وجه اليقين أن الخلاص من الحالة السيئة التي هم عليها لا يكون أبداً إلا بإتباع ما تقضي به سنن الله ﷻ (60)، ولكي يكون المسلم فاعلاً مؤثراً لا بد أن يكتشف هذه السنن والقوانين، ويحسن تسخيرها واستثمارها، ويدرك كيفية التعامل معها، فيصل إلى منزلة مغالبة القدر بقدر أحب إلى الله ﷻ، أو يفر من قدر الله ﷻ إلى قدر الله ﷻ، وقد بين الإمام ابن قيم الجوزية ذلك بقوله: "دفع القدر الذي قد وقع واستقر بقدر آخر يرفعه ويزيله، كدفع قدر المرض بقدر التداوي، ودفع قدر الذنب بقدر التوبة، ودفع قدر الإساءة بقدر الإحسان، فهذا شأن العارفين وشأن الأقدار، لا الاستسلام لها، وترك الحركة والحيلة، فإنه عجز والله ﷻ يلوم على العجز" (61).

المبحث الثالث: نماذج من السنن الإلهية الكونية وعلاقتها بالقدر.

إن العلم بسنن الله ﷻ الكونية العامة طريق إلى العلم بسنن الله الخاصة في المجتمعات ومعرفة تقلبات الحياة به، ومعرفة تطوره، ومعرفة عوامل هذا التطور، ومعرفة مدى سلطان السنن الإلهية على هذه المجتمعات، ومما لا شك فيه أن السنن الكونية لا خروج لأحد عنها وذلك لأنها خاضعة للقدر الكوني ومتعلقة بالخلق والمشيئة الكونية فهي تقع حتماً لكنها قابلة للخرق، من أجل تحقيق سنن إنسانية أخرى، حيث ينقضها الله إذا شاء بما شاء فتمضي على غير ما اعتاده الناس وتسمى بالسنن الخارقة (62).

ويرى ابن تيمية أن السنن تطلق على النواميس الطبيعية، غير أن كل سنة لها شروطها وملابساتها التي لا بد أن تتحقق، ولها موانع لا بد أن تنتفي وإلا فإنها قد تنتقض، لذلك قال عن سنة الله في الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من العادات أن هذه السنة ينقضها إذا شاء بما شاء من الحكم (63)، فهذه السنن والقوانين هي من الله وليس من صنيع البشرية، بل إن البشرية تعمل جاهدة على اكتشاف هذه السنن فدورهم يقتصر على اكتشافها واستغلالها.

وهذا المبحث يتناول الحديث عن بعض النماذج من السنن الإلهية الكونية وبيان علاقتها بالقدر.

المطلب الأول: سنة الله في تعاقب الليل والنهار.

إن المظاهر والسنن الكونية من الآيات الدالة على خالق هذا الكون، ومن تلك السنن الإلهية الكونية سنة الله ﷻ في تعاقب الليل والنهار، فالليل والنهار آيتان كونيتان من آيات الله في الخلق وتشهدان بدقة نظام الكون وانتظام حركة كل جرم منه، وإحكام السنن الضابطة له، وقد دل على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ يُدْرِئُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [المزمل:20]، فالله ﷻ خلق الليل والنهار وحدد مقادير ساعاتهما وذكر ذلك بصيغة تدل على معنى الاختصاص بالتقدير (64)، وقوله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّبَسُّوْا فُضُلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَتَعَلَّمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَا تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء:12]، فالله ﷻ في الآية السابقة الذكر يمتن على

(60) انظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان (ص2-3).

(61) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (ج1/218).

(62) انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية (ج1/52-54). سنن الله في المجتمع من خلال القرآن الكريم، محمد عرجون (ص7-8).

(63) انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية (ج1/53-54).

(64) انظر: الكشف، الزمخشري (ج4/643). تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، زغلول النجار (ج1/549).

عباده بإحدى سننه ودلائله ونواميسه الكونية، وهي تعاقب الليل والنهار، ليسكنوا في الليل، ويسعوا وينتشروا في النهار للمعاش والأعمال، وليعلموا عدد الأيام والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الأجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات وغير ذلك، ولهذا قال: لتبتغوا فضلا من ربكم أي في معاشكم وأسفاركم ونحو ذلك، ولتعلموا عدد السنين والحساب فإنه لو كان الزمان كله نسقا واحداً وأسلوباً متساوياً لما عرف شيء من ذلك⁽⁶⁵⁾.

والعلاقة والارتباط بين سنن الله ﷻ في الكون وحياة البشرية ناتج لارتباط العلاقة وعمقها بين المرء والكون، وقضاء الله وقدره ﷻ ولطفه وحكمه ﷻ، وهذا كله من تدابير خلقه ﷻ، يقول سيد قطب -رحمه الله-: «فالناموس الكوني الذي يحكم الليل والنهار، يرتبط به سعي الناس للكسب، وعلم السنين والحساب، ويرتبط به كسب الإنسان من خير وشر وجزاؤه على الخير والشر، وترتبط به عواقب الهدى والضلال، وفردية التبعة فلا تزر وزر أخرى، ويرتبط به وعد الله ألا يعذب حتى يبعث رسولا، وترتبط به سنة الله في إهلاك القرى بعد أن يفسق فيها مترفوها، وترتبط به مصائر الذين يطلبون العاجلة والذين يطلبون الآخرة وعطاء الله لهؤلاء وهؤلاء في الدنيا والآخرة.. كلها تمضي وفق ناموس ثابت وسنن لا تتبدل، ونظام لا يتحول فليس شيء من هذا كله جزافاً⁽⁶⁶⁾، فالليل والنهار من السنن الكونية التي لا يصيبها الخلل والاضطراب ولو لمرة واحدة، فلا يوجد شيء ولا أي أمر ما في هذا الوجود متروكاً للمصادفة، فدقة الناموس الذي يصرف الليل والنهار ناطقة بدقة التدبير والتفصيل، وهي عليه شاهد ودليل، وبهذا الناموس الكوني الدقيق يرتبط العمل والجزاء⁽⁶⁷⁾، فمع بروز النهار وظهور الشمس يبدأ يوماً جديداً يسعى فيه كل كائن حي لجني رزقه وعمله وفق ما قدره الله ﷻ وقضاه له ﷻ، بعيداً عن الجزع والكسل والخمول، كذلك يسعى لإصلاح الكون وتعميره، فالإنسان خليفة الله في الأرض، فلم يكن للبشرية جمعاء الحرية والاختيار في الارتباط بين النواميس الكونية والسنن بل هي اختيار ورحمة وعلم وإرادة الله ﷻ والحكمة الإلهية في تسيير السنن وفق مقتضى ما أراده الله ﷻ ومشينته فيقول الله ﷻ: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:73]، فالتبادل بين الليل والنهار من الضرورات اللازمة للحياة والاستمرار فيها، وإذا أمنت النظر في مقادير الليل والنهار تجدها في غاية الحكمة والعظمة وكمال قدرة الله ﷻ، وأن مقدار اليوم والليل لو زاد على ما قدر عليه أو نقص لفاتت المصلحة وتعطلت مصالح العباد واختلفت الحكمة لذلك جعل الله ﷻ مكياها أربع وعشرين ساعة، وجعلها يتقاسمان الزيادة والنقصان بينهما فما يزيد في أحدهما من الآخر يعود الآخر فيسترده كما قال ﷻ: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد:6] ⁽⁶⁸⁾، فالله ﷻ يقدر الليل والنهار بالساعة والدقيقة والثانية، بل والجزء من الثانية، ويختلف كل واحد منهما عن الآخر، من خلال ما نعيشه طوال العام، فيقصر الليل في بعض المناطق الجغرافية ويطول النهار، ثم ينعكس الأمر في فصول أخرى فيطول الليل ويقصر النهار، ومما لا شك فيه أن هذا لحكمة يريد بها الله ﷻ ولما فيه من مصالح للبشرية جمعاء، ففي اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما وإذا جاء هذا ذهب هذا وإذا ذهب هذا جاء هذا، لا يتأخر عنه شيئاً وفي طولهما وقصرهما بحسب اختلاف مواقع الأرض من الشمس، وما لها من نظام دقيق وما فيها من برودة وحرارة وكون الليل لباساً وسكناً، والنهار معاشاً كل ذلك لآيات ودلائل تدل على دقة النظام الكوني وقدرة الله ﷻ وحكمته وعظمته وكمال علمه لقوم يتقون مخالفة سنن الله في التكوين وفي التشريع، فسنة الكون الحفاظ على الصحة، من خالفها مرض، وسنة الحياة الاستقامة، من أفسدها وخالفها، أساء لنفسه⁽⁶⁹⁾.

(65) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج5/46).

(66) في ظلال القرآن، سيد قطب (ج6/328).

(67) المرجع السابق (ج6/328).

(68) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية (1/209-210) بتصرف.

(69) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (ج11/112).

وعلى الرغم من الظلام الذي يشمل الكون بأكمله والذي لم يدركه الإنسان إلا بعد زيادة الفضاء منذ مطلع الستينات من القرن العشرين، وعلى الرغم من محدودية الحزام الرقيق الدقيق الذي يرى فيه نور النهار بسمك لا يتعدى المائتي كيلومتر فوق مستوى سطح البحر في نصف الكرة الأرضية المواجهة للشمس حتى أن المرء في انطلاقه من الأرض إلى سعة الكون وفسحته أثناء النهار فإنه يُفاجأ بتلك الظلمة الشاملة للكون التي يرى فيها الشمس قرصاً أزرق في صفحة حالكة السواد لا يقطع من شدة سوادها إلا بعض من الأشياء والأعداد المتناثرة الباهتة الضوء التي تحدد مواقع النجوم⁽⁷⁰⁾، وقد لوحظ في السماء عددًا من الظواهر المنيرة في خلال الليل ومنها ظاهرة توهج الهواء في طبقات الجو، وظاهرة أنوار مناطق البروج وأضواء النجوم والمجرات، وهي حقيقة لم يدركها العلم المكتسب إلا في السنوات المتأخرة من القرن العشرين ولم يكن لأحد من العلماء أي إدراك لها وقت تنزل القرآن ولا لعدد من القرون بعد ذلك⁽⁷¹⁾، وفي ذلك دليل على قدرة الله ﷻ وحكمته وأن القرآن الكريم كلام الله الذي خلق الكون وأبدعه بعلمه وحكمته وقدرته، وفيه دليل أيضًا على أن الكون بجميع سننه ونواميسه يسير وفق سنن ثابتة تتحقق لا تتبدل ولا تتحول.

المطلب الثاني: سنة الله في خلق السموات والأرض.

من السنن الإلهية الكونية الربانية وحتمية الوقوع والدالة على خلق الله وربوبيته خلق السموات والأرض وتسخير ما فيهما لقوم يعقلون ويتفكرون، كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَصَرْفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 164]، وقوله ﷻ: ﴿وَسَخَّرْ لَكُمْ مَاءً فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ [الجاثية: 13]، ومن رحمة الله ﷻ وحكمته وعدله أن الجميع يسيرون على هذه الأرض وفق سنة الله وأقداره ومشيتته ﷻ، وكذلك يتعرض لهذه السنن المسلم والكافر، وقد يستفيد الكافر من هذه السنن إذا تعرض لها وأهملها المؤمن فهي مسخرة لجميع البشرية مؤمنهم وكافرهم، لا تحابي أحد مهما كان، حيث قال الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 165]، فهذا الذي تنكرون أن يقع لكم، وتقولون كيف هذا؟ قل هو من عند أنفسكم، وقد أشار الله ﷻ معزيًا ومسلّيًا بعدما ذكر ما حصل مع المؤمنين والكافرين في غزوة أحد فيأذن الله وإرادته وقضائه وقدره، وله الحكمة في ذلك، فما من شيء في الكون إلا وهو خاضع لإرادته وحكمته⁽⁷²⁾.

فانطبق سنة الله ﷻ عليكم حين عرضتم أنفسكم لها فالإنسان حين يعرض نفسه لسنة الله لا بد أن تنطبق عليه أكان مسلمًا أو كافرًا، ولا تتخرق محاباة له، فمن كمال إسلامه أن يوافق نفسه على مقتضى سنة الله ابتداءً وانتهاءً ومن مقتضى قدرته أن تنفذ سنته، وأن يحكم ناموسه، وأن تمضي الأمور وفق حكمه وإرادته، وألا تتعطل سننه التي أقام عليها الكون والحياة والأحداث، فكل أمر سواء كان كبيرًا أو صغيرًا لم يقع مصادفة ولا عبثًا ولا سدى، فكل حركة محسوب حسابها في تصميم هذا الكون ومقدر لها علتها ونتائجها ومع جريانها وفق السنن والقوانين الثابتة التي لا تتخرق ولا تتعطل تحقق الحكمة الكامنة وراءها وتكمل التصميم النهائي للكون في مجموعته⁽⁷³⁾، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِاعْبَيْنَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: 38-39]، وقوله ﷻ: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: 19].

فالدلائل والسنن الإلهية الأرضية هي النظر في أحوال المعادن والنبات والإنسان ثم ينقسم كل واحد من هذه الأجناس إلى أنواع لا نهاية لها، ولو أن الإنسان أخذ يتفكر في كيفية حكمة الله ﷻ في تخليق جناح البعوضة لأنقطع عقله قبل أن يصل إلى أقل

(70) انظر: تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، زغلول النجار (ج11/551-554).

(71) انظر: المرجع السابق (ج11/553-554) بتصرف.

(72) انظر: المرجع السابق (ج4/155).

(73) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (ج2/300-301).

مرتبة من مراتب تلك الحكم والفوائد وقدرة الله وإرادته⁽⁷⁴⁾، فمثلاً تأمل قوله ﷺ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ وَحِثَّاتٌ مِّنْ أَعْتَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الرعد:4] فالله ﷻ خلق الأرض لوحة فنية تتكون من قطع متجاورة مختلفة في التكوين، والصلابة والألوان، وتختلف في خصائصها الجيولوجية والفيزيائية والكيميائية⁽⁷⁵⁾، ففي الأرض قدرة ربانية عجيبة بما فيها من معادن وصخور، ونبات وحيوانات وما فيها من الأنعام والجمال والأبقار والخيل خلقها الله ﷻ لنا على نحو يتناسب مع طبائع وتكوين الجميع، فالأنعام خلقها الله ﷻ وفيها من الفوائد الكثيرة فبعضها يكون فيه الدفء وبعضها تأكلون منه ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، والخيل والبغال لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وغيرها الكثير من الدلائل الأرضية كما قال ﷻ: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَحُمَلٌ أَثْقَالِكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل:5-7]⁽⁷⁶⁾.

فالله ﷻ خلق الأرض وما فيها من السنن والقوانين والمخلوقات التي يمتلأ بها الكون من حيوانات وحشرات ونبات وشجر وأنهار وجبال ورياح وأمطار، هي سنن كونية أبدعها الله في الكون وفق نواميس قوانين محكمة، بحيث تكون ميسرة للعيش عليها ومستقرة للعيش عليها، فالنقل والسير في الأرض وأركانها هو الكاشف الحقيقي والصادق عن السنن التي تحكم الحركة الاجتماعية، قال ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:46]، وقوله ﷻ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:138].

كذلك من السنن والدلائل التي خلقها الله ﷻ في الأرض الجبال لتكون أوتاداً، ولكي تحفظ الأرض من الاضطراب وتستطيع كافة المخلوقات السير والتأقلم عليها، كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لِّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل:15]، وقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبا:6-7]، فهذه الجبال وغيرها من السبل والأنهار بمنزلة التكملة للأرض وقد قدرها الله ﷻ وخلقها لعدم اضطراب الأرض وتوازنها والحفاظ عليها، وذلك لأن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع، وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك، أو أن تتحرك بأدنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بتقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة، ولعل الله ﷻ جعل ظهور الجبال على الأرض معدلاً لكرويتها بحيث لا تكون بحد من الملاسة يخفف حركتها في الفضاء تخفيفاً يوجب شدة اضطرابها⁽⁷⁷⁾، فالجبال تثبت القارات بالجزء المغروس منها في الطبقة اللزجة التي تقع تحت الطبقة الصخرية التي تتكون منها القارات، ولقد تأكد الباحثون من هذا في عام 1965م، وعلموا أنه لولا أن الله ﷻ قد خلق الجبال بشكل أوتاد لطافت القارات ومادت الأرض واضطربت من تحت أقدامنا، والله يذكر لنا هذه الحقيقة في القرآن، حيث قال ﷻ والجبال أوتاداً⁽⁷⁸⁾.

ويفسر أصحاب نظريات العلوم الحديثة من علماء الأرض أن هناك جذوراً عميقة للجبال تعمل على تثبيتها وتتكون هذه الجذور من مواد صخرية خفيفة مترسبة قليلة الكثافة وتؤثر هذه الأوتاد في تثبيت القشرة الأرضية وحفظ توازنها، فسبحان من وصف الجبال من قبل ألف وأربعمائة سنة بالأوتاد، وهي مصطلح يصف الشكل الخارجي للجبل وامتداده الداخلي، فالوتد يكون أغلبه مدفون في الأرض، وقليل منه يظهر على سطح الأرض، وقد أثبتت علوم الأرض في أواخر القرن العشرين أن هكذا الجبال بعد أن ظل

(74) انظر: التفسير الكبير، الرازي (ج17/206).

(75) انظر: مؤتمر كلية الشريعة الخامس السنن الإلهية في الكتاب والسنة، أنور الشلتوتي وجمال أبو حسان (ص271).

(76) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج9/281). العقيدة في الله، عمر الأشقر، (ص101).

(77) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ج3/222). التحرير والتتوير، ابن عاشور (ج14/120).

(78) توحيد الخالق، الزدناي (ص273).

وصف الجبال إلى مشارف التسعينات من العشرين قاصراً على أنها مجرد نتوءات فوق سطح الأرض، وقد تباينت واختلفت الآراء حول تحديد حد أدنى لارتفاع تلك النتوءات الأرضية، وقد حُسم الأمر في آيات القرآن الكريم بوصف الجبال بالأوتاد⁽⁷⁹⁾، فالسنن الكونية التي أثبت العلم الحديث صحتها وصدقها تدفع المرء إلى الإيمان بأن القرآن الكريم معجز وأن الشريعة الإسلامية من عند الله ﷻ وليس من عند البشر.

فتفسير وبيان الدلائل والإشارات القرآنية وفق السنن الكونية وغيرها يؤكد أن هذا الإعجاز العلمي لا يمكن أن يتحقق إلا على يد قدير مدبر وهو الله ﷻ، فالعلم الحديث جاء ليؤكد صدق المقولات القرآنية، وأن البحث العلمي المتعلق بعلوم الطبيعة والكون على ضوء هذه الحقائق والمسلمات يعد ضرورة من ضرورات الحياة الإسلامية، ولا يقل أهمية عن العبادة نفسها، مادام أنه يمارس هذه الوظيفة الكبيرة في الكشف عن سر الكون والحياة والعالم، ويقود إلى صانع الكون والحياة والعالم وفق أشد الطرائق اقناعاً، وما دام أنه يلتقي مع العبادة نفسها في التسبيح للخالق العظيم، وهذا يدل على الارتباط الحتمي بين نظام الخالق ونظام الخلق⁽⁸⁰⁾ وقد قال ﷻ في السماء ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق:11]، فالسماوات تَرْجِعُ السحاب وبخار الماء وكذلك المطر وأرزاق العباد الذي يكون من جهتها⁽⁸¹⁾، فالآية السابقة تشير إلى التجاذب بين الأرض والسماوات بما فيها فهي تُرْجِعُ المطر إلى الأرض، وتحفظ الشمس والقمر من الانفلات بعيداً عن الأرض، وقد أطلق العالم نيوتن الصفة الشمولية للتجاذب في صيغة قانون التجاذب العالمي، وأثبت أن تلك الصورة التي تدور بها الكواكب ومنها الأرض حول الشمس لا يمكن أن تكون إلا إذا كان بين الشمس والكواكب تجاذب على الخط الواصل بين مركزيهما، وأثبت انجذاب القمر إلى الأرض بقوة خاصة بينهما متوقفة على مقدارها في الكوكبين المتجاذبين من مادة وعلى مقدار المسافة التي بينهما⁽⁸²⁾.

وعلاقة هذه السنن الكونية - خلق السموات والأرض - بالقدر أن الإيمان بقضاء الله وقدره هو التجسيد العملي والتطبيقي لإيمان المرء بقدرته الله في الكون والخلق والتقدير، فإله ﷻ يقول: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى:2-3]، من المعلوم أن وجود هذا الكون بكل ما فيه من مخلوقات، وسيره وفق نظام محكم إنما يدل دلالة واضحة على علم الله ﷻ به قبل إيجاده وخلقه؛ لأنه يستحيل إيجاد الأشياء بالجهل وعدم العلم، لأن إيجاد الأشياء يكون بالإرادة والإرادة تستلزم تصور المراد وهو العلم بالمراد، فكان الإيجاد مستلزماً للإرادة وهي مستلزما للعلم، والإيجاد مستلزم للعلم⁽⁸³⁾، قال ابن قيم الجوزية: "قد يأذن الله ﷻ للأرض في الأحيان بالتنفس فتحدث فيها الزلازل الأعظم فيحدث من ذلك لعِبَادِهِ الخُوف والخشية والانبابة والاقلاع عَن مَعَاصِيهِ والتضرع إليه والندم كما قَالَ بعض السلف وقد زلزلت الأرض ان ربكم يستعجبكم"⁽⁸⁴⁾، وهذا كله وفق إرادة الله وعلمه وقدره ﷻ.

فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض فهو يعلم جميع خلقه قبل أن يخلقهم فكل شيء معلوم لديه ﷻ⁽⁸⁵⁾، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس:61]، كذلك فإن الله ﷻ هو المقدر لكافة تفاصيل عبادته في هذا الكون فلا يقع أمر ما إلا وفق قضاء الله ﷻ وقدره وعلمه وإرادته ومشيئته ﷻ كما كتبت في اللوح المحفوظ، وأن ما أصابك لم يخطئك وما أخطأك لم يصيبك.

(79) انظر: الآيات الكونية في القرآن الكريم، زغلول النجار (ج4/277-283)

(80) انظر: مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، عماد الدين خليل (ص1) (ص39)

(81) انظر: جامع البيان، الطبري (ج24/359-361).

(82) انظر: الموسوعة الفلكية، زينب منصور (ص153)

(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (ص85-86).

(3) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية (ج1/221)

(4) انظر: أعلام السنة المنشورة، حافظ الحكي (ص87).

المطلب الثالث: سنة الله في "الشمس والقمر، الكواكب والنجوم، المجرات"

اقتضت حكمة الله ﷻ أن يوجد هذا الكون كما أراد على أتم نظام، وأبدع إحكام، وأن يديره بعلمه وحكمته خير تدبير، وأن يضع له نواميس دقيقة محكمة، وقوانين ثابتة وسنن لا تتحول ولا تتبدل ترتبط فيها الأسباب بالمسببات وتعتمد فيها النتائج على المقدمات، هذا النظام المحكم وهذا التدبير العجيب بأسبابه ومسبباته، ونتائجه ومقدماته، ونواميسه وقوانينه وسننه وأحكامه هو القدر⁽⁸⁶⁾، حيث قال ﷻ: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَّرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر: 11-12]، فالقدر هو القانون الحكيم الذي وضعه الله ﷻ بعلمه وإرادته وحكمته ليسير على أحكامه كل شيء في هذا الوجود من السماء وما فيها إلى الأرض وما عليها، وما بين ذلك.

والدلائل والسنن الإلهية التي خلقها الله في عالم السموات تتمثل في حركات الأفلاك ومقاديرها وأوضاعها وما فيها من الشمس والقمر والكواكب والنجوم والمجرات وما يختص كل منها من المنافع والفوائد.

فالشمس والقمر من السنن الكونية في السماء فإله ﷻ خلق الشمس وجعلها مضيئة من ذاتها، وخلق القمر وقدر أن يأخذ نوره بالاكتماب من الغير، حيث قال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: 5]⁽⁸⁷⁾، ويرى علماء الفلك أن الشمس كرة غازية ملتهبة، وأن هناك تفاعلات نووية في باطن الشمس تشكل مصدرًا للطاقة الشمسية المنبعثة في جميع أنحاء الأرض، وتشير الدراسات والنظريات العلمية أن هذا النجم الشمسي قد بدأ بتركيب كيميائي يغلب عليه عنصر الايدروجين بحوالي 90%، والهيليوم 9% وعناصر أخرى خفيفة من الكربون والنيتروجين والأكسجين بحوالي 1%، فتنتج طاقة الشمس من عملية الاندماج النووي، والتي يتم فيها اتحاد أربعة من نوى الايدروجين لتنتج نواة واحدة من نوى الهيليوم، وينطلق الفرق بين مجموع كتلة الأربع نوى لذرات الايدروجين وكتلة نواة الهيليوم على هيئة طاقة تساوي 0.0282 وحدة ذرية لكل تفاعل، وهذه الطاقة الناتجة عن تلك العملية يكون أغلبها على شكل وهيئة أشعة جاما حوالي 96% وجزء قليل على هيئة النيوترونات بحوالي 4%، ولكن سرعان ما تتحول أشعة جاما إلى حرارة وفي ذات الوقت تهرب النيوترونات وتفقد، وأما بالنسبة للقمر فالضوء الذي نراه منه ما هو إلا انعكاس ضوء الشمس على سطحه، فنصفه المنير هو المواجه للشمس وهو الذي يظهر لنا على سطح الأرض⁽⁸⁸⁾.

ويمكن تفسير الآية القرآنية سابقة الذكر في قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: 5] في ضوء الحقائق العلمية التي توصل إليها العلماء، فالعلم الحديث والنظريات العلمية الحديثة قد اكتشفت تقدير الله للشمس والقمر والذي دل عليه النص الشرعي، وهذا التقدير لمصلحة الإنسان والحيوان ورعايتهم ولولا هذا التقدير في هذا الخلق لما كانت هناك طاقة شمسية ولما كانت هناك حرارة ونور تصل إلى الأرض والقمر من أجل حفظ البشر والعناية بهم، وهذه العناية والحفظ من ثمار سنن التقدير في هذا الكون، ومن هنا يتبين أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يصطدم النص الشرعي مع الحقائق والنظريات العلمية⁽⁸⁹⁾.

وكذلك من السنن الكونية السماوية النجوم والكواكب والمجرات والرعد والبرق وغيرها فالنجوم زينة السماء في الليل وبها يهتدي الإنسان إلى طريقه في ظلمات الليل، كما في قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: 13]، فالله ﷻ هو الذي يريكم البرق الخاطف والنور اللامع الذي يظهر فجأة ويختفي من تقارب سحابتين مختلفتين في الشحنة الكهربائية، وهو الذي يسخر البرق بشيرًا بمطر يطمع فيه كل من له حاجة إليه ونذيرًا لمن يخاف المطر كمن له في جريته قمح أو شعير أو مسافر يضره المطر، يا سبحان

(86) انظر: كتاب التوحيد" التخلي عن التقليد والتخلي بالأصل المفيد"، عمر الحملاوي (ص212)

(87) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا(ج11/247)

(88) انظر: تفسير الآيات القرآنية في القرآن الكريم، زغول النجار(ج1/333-338)

(89) انظر: مؤتمر كلية الشريعة الخامس السنن الإلهية في الكتاب والسنة، أنور الشلتوتي وجمال أبو حسان (ص263)

الله لك في خلقك شؤون ونظام ولو لم ينزل الله المطر بالقدر المطلوب والكمية الكافية لفسد الكون وعطلت مصالح العباد وفسد الزرع والثمار فهو القادر على إنزال المطر والقادر على منعه ألا يدل ذلك على أن وراء هذا كله إله قادرًا حكيمًا يتصرف كيف يشاء (90).

وتكمن علاقة هذه السنن المختلفة بالقدر أنها تسير في نظام محكم ودقيق لما قدره الله لها في الأزل، لا يعترها أي خلل واضطراب ولا بد أن تنطلق قدرات الإنسان وطاقاته لتعرف هذه السنن، ولتترك هذه القوانين والنواميس، وتعمل بمقتضاها في البناء والتعمير، وفي استخراج كنوز الأرض والانتفاع بما أودع الله ﷻ في هذا الكون من خيرات، وبذلك يكون الإيمان بالقدر قوة باعثة على النشاط والعمل والإيجابية في الحياة، كما أن الإيمان بالقدر يربط الإنسان بالله ﷻ خالق هذا الوجود وموجده، فيرفع من نفسه نحو المعالي والانطلاق إلى معالي الأمور من الشجاعة والقوة، من أجل إحقاق الحق، والقيام بالواجب، وكذلك إن الإيمان بالقدر يُرى المرء أن كل شيء في هذا الكون إنما يسير وفق حكمة عليا، فإذا مسّه الضر فإنه لا يجزع، وإذا صادفه التوفيق والنجاح فإنه لا يفرح ولا يبطر، وإذا برئ الإنسان من الجزع عند الإخفاق والفشل، ومن الفرح والبطر عند التوفيق والنجاح، كان إنسانًا سويًا متزنًا، بالغ منتهى السمو والرفعة، وهذا هو معنى قول الله ﷻ: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: 22-23] (91).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه القوانين الإلهية، والنواميس الربانية، والسنن الكونية أزلية أبدية خالدة، وهذه القوانين الأزلية الأبدية لا تتغير، ولا تتبدل، ولا تتحول كما قال ﷻ: ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَكَانَ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: 43]، فهي هو القدر، أي القانون الأزلي الأبدي السرمدي الذي لا يعتره تبدل ولا تغير ولا تحول، والذي لو اجتمعت كل قوى العالم السماوية والأرضية على أن تغير منه متقال ذرة ما وجدت إلى ذلك سبيلا (92)، فعندما نتأمل حركة الأجرام السماوية والأفلاك وحركتها المنتظمة والدقيقة، يتأمل المرء أن كل واحدة منها تحتاج إلى خالق مقدر لكل حركة، فلما اختص كل واحد من هذه الأجرام والأفلاك بمقدار خاص بها، مع أن المقادير بأكملها وأسرها، قضى عقل المرء بافتقار هذا المقدر المعين إلى مخصص ومرجح وهو الله ﷻ، وهذا فيه دلالة على أن كافة السنن الإلهية تسير بقدر الله ﷻ وتقديره ولا تتبدل ولا تتخلف، كما أنه فيه دلالة على وجود الله ﷻ (93).

المطلب الرابع: سنة الله في جريان الفلك في البحر بالرياح.

من السنن الكونية القدرية التي أوجدها الله في هذا الكون وفق نظام محكم ودقيق جريان الفلك في البحر بالرياح مصداقًا لقوله ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِكُمْ بِهِمْ رِيحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَمَنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَمَكُونٍ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [يونس: 22]، فهذه الآية تدل وتبرهن أن الله ﷻ ذكر من سننه وآياته هذه السفن العظيمة التي تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح، وهذا يدل على أمرين:

الأمر الأول: هذا يدل على وجود القادر الحكيم، فهذه السفن العظيمة التي تكون كالجبال تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح على أسرع الوجوه، وعند سكون هذه الرياح تقف ومحرك الرياح ومسكنها هو الله ﷻ، إذ لا يقدر أحد على تحريكها من البشر ولا على تسكينها وهذا يدل على وجود الله ﷻ الإله القادر على تسيرها عندما يشاء ويريد ﷻ، والسفينة تكون في غاية الثقل ورغم ثقلها بقيت على وجه الماء، وهنا تظهر قدرة الله وعظمته.

(90) التفسير الواضح، محمد حجازي (ج2/221) بتصرف.

(91) انظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق (ص96-97)

(92) انظر: كتاب التوحيد، عمر الحملاوي (ص212)

(93) انظر: التفسير الكبير، الرازي (ج31/175)

الأمر الثاني: معرفة ما فيها من المنافع والنعم العظيمة لله على العباد، فالله ﷻ خص كل جانب من جوانب الأرض بنوع من الأمتعة، وإذا نقل متاع هذا الجانب في السفن حصلت المنافع العظيمة في التجارة ولهذا الأسباب ذكر الله السفينة (94)، والتسيير أي الانتقال من مكان إلى آخر وذلك يكون بتسخير من رب العالمين، فهو وحده المتصرف والميسر أمور هذه الكائنات، فلا محرك ولا مدبر ولا مؤثر غيره ﷻ، وهذه الآية أخبرتنا بمظهر من مظاهر علم الملاحة البحرية بتدقيق كمن يباشرها ويشاهدها، مما يدل دلالة واضحة وقاطعة على أن القرآن الكريم كلام الخالق الصانع (95).

والرياح والهواء هذا اللطيف الموجود بين السماء والأرض يعرف ويُدرَك بجسمه ولا يرى شخصه، والطيور فيه تسير بأجنحتها وتضطرب أمواجه عند سرعتها، وإذا شاء الله حركها بحركة الرحمة واللفظ فتكون رخاء ورحمة وبشرى ولاقحاً للسحاب يلقيه بحمل الماء كما يلقي الذكر الأنثى، وتسمى رياح الرحمة بالمبشرات، ورياح العذاب بالعاصف الشديد وهما في البحر وفي البر وإن شاء حركها بحركة العذاب فجعله عقيماً وأودعه عذاباً أليماً وكان نقمة على من يشاء من عباده فيجعله صرصراً ونحساً، ولهذا يخبر الله عن رياح الرحمة بصيغة الجمع لاختلاف منافعها، وأما رياح العذاب فهي ریح واحدة ترسل من وجه واحد لإهلاك ما ترسل لإهلاكه، والسفن تسير بالرياح الواحدة التي تأتي من وجه واحد فإذا اختلفت الرياح على السفن وتقابلت لم يتم سيرها، فالمقصود منها في البحر خلاف المقصود بها في البر؛ فالبحر تكون واحدة طيبة لا يعارضها شيء فأفردت هنا وجمعت في البر (96).

والرياح منها رياحاً طيبة يرسلها الله ﷻ بشرى بين يدي رحمته لعباده وبواسطتها تُلقي السحاب وتبشرهم بقدم الخير كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحِجٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: 22]، يرسل الله ﷻ الرياح فتحمل الماء فتجري السحاب فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر أي تُلقي السحاب فتدر الماء وتُلقي الشجر فتفتح عن أوراقها، فيحيي به الأصل والشجر، ويتنفس كل حي من الأحياء أنفاس الحياة من خلاله، أما الرياح العقيم فهي رياح فسدت طبيعتها فلا خير فيها ولا تلقي شيئاً ولا تحيي وهي عقيم ليس فيها من الخير شيء وإنما هي رياح عذاب وتلد الهلاك والدمار حيث قال ﷻ: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ﴾ [الذاريات: 42] ومن قدرة الله ﷻ أنه ذكر رياح الخير بالجمع؛ لأن منافعها كثيرة، ويكون فيها الإنتاج، بخلاف العقيم فإنه أفردوا ووصفها بالعقيم وهو عدم الإنتاج وذلك لأن الإنتاج لا يكون إلا من شئين فصاعداً (97).

من خلال ما سبق بيانه نستطيع أن نتوصل إلى أن سنة الله في جريان الفلك في البحر بالرياح وعلاقتها بالقدر أن القدرة المسيطرة المهيمنة على الحركة والسكون هي من عند الله ﷻ وبيده وحده لا شريك له، فهو قادر على تحريك وتسيير أي أمر ما وفق إرادته وحكمته وبما يتناسب مع مصالح البشرية وإرادة الخير لهم، كما سبق بيان ذلك في تسيير وجريان الفلك في البحر بالرياح، وهناك الكثير من الدلائل التي تقرر هذه القدرة التي تسيطر على أقدار الكون كله بلا استثناء وكذلك وفقاً لقضاء الله ﷻ وقدره، وقد سبق تعريف القدر بأنه النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود، والقوانين العامة، والسنن التي ربط الله بها الأسباب بمسبباتها.

فهذه إحدى السنن والدلائل، فهي سنن ثابتة واضحة محسوسة، إذا تمعن فيها المرء جيداً وفهمها وحكم عقله فيها خلص من ذلك إلى أن هذه سنن لم يكن وجودها ذاتياً، ولم يكن لها أن تسيير أنفسها بتلك الدقة المتناهية، وذلك التناسق العجيب بل وجودها

(94) المرجع السابق (ج27/602).

(95) انظر: دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون، عبد الله التليدي (ص123).

(96) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية (ج1/200-201).

(97) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (ج17/86) (ج22/434). التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب (ج14/527). تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج4/530).

وفق هذا النظام المحكم دليل واضح على أن لها موجدًا خلقها، وقدر فيها وظائفها، وسيرها نحو أداء الغرض الذي خلقت من أجله بغاية الدقة والإحكام، ووفقًا لما قدره الله ﷻ (98).

المبحث الرابع: نماذج من السنن الإلهية الاجتماعية وعلاقتها بالقدر.

إن الله ﷻ أقام نظام المجتمع على سنن وقوانين ونواميس مطردة، ومما لا شك فيه أن هذه السنن الإلهية تساهم في فهم الحياة، كما تصور حكمة الله ﷻ في نعوت الكمال المطلق لله ﷻ خالق هذا الكون بجميع ما فيه من الدلائل والسنن الكونية والاجتماعية، وهذا المبحث يتناول الحديث عن بعض النماذج من السنن الاجتماعية وبيان علاقتها بالقدر.

المطلب الأول: سنة الله في الهدى والضلال.

تعريف الهداية والضلال:

أولاً: تعريف الهداية لغةً واصطلاحاً:

لغةً: الهدى مصدر هداه هُدى، فهو ضد الضلال أي: الرشد والبيان، والطاعة والورع وهو يُذكر ويُؤنث، والهدى من هداه يهديه هدى ويقال هداه الله ﷻ للدين هدى، ويقال هدى هُدى فلان أي سار على نهجه (99).

أما اصطلاحاً: الهدى هو " العلم بالحق والعمل به، وما به الهدى والإرشاد إلى طريق الخير، فيشتمل آيات الأحكام التي بها صلاح الناس في أنفسهم وصلاحهم في مجتمعهم" (100)، "والهدى بيان ما ينتفع به الناس ويحتاجون إليه" (101)، والهداية هي سلوك الطريق الذي يُوصل الإنسان إلى غايته ومبتغاه، باتباع شرع الله ﷻ فالإنسان من خلال شرع الله والعلم بكتابه يهتدى إلى تميز الحق من الباطل (102)، قال ابن قيم الجوزية: "الهداية هي البيان والدلالة ثم التوفيق والإلهام وهو بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل وإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق" (103).

ثانياً: تعريف الضلال لغةً واصطلاحاً:

الضلال لغةً: "الضلالُ والضلالةُ: ضد الهدى والرشد، ضلَّت تَضِلُّ هذه اللغة الفصيحة وضمَّلت تَضَلُّ ضلالاً وضلالةً" (104)، ويأتي بمعنى العدول والانحراف عن المنهج وعن الطريق السوي قال ﷻ: ﴿فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: 108] (105).

أما اصطلاحاً: الضلال هو الانحراف عن طريق الإسلام، وسلوك الطريق المخالف الذي لا يوصل إلى اتباع شرع الله واتباع الأهواء والشهوات، وفقدان الطرق والأساليب التي توصل إلى الهدف المطلوب (106).

إن سنة الله ﷻ في الهداية والضلال هي من تمام عدله وحكمته في عباده، فالله ﷻ له في خلقه شؤون، وكذلك من مقتضى أسمائه الحسنی وصفاته العلی، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فمعرفة سنة الله في الهدى والضلال والعلم بها أمر

(98) انظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات، أحمد الغامدي (ص122)

(99) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري (ج6/2533-2534). مختار الصحاح، الرازي (ج1/325).

(100) التحرير والتنوير، ابن عاشور (ج2/66). تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي (ص61).

(101) النبوات، ابن تيمية (ج2/640).

(102) انظر: التعريفات، الجرجاني (ص256). التوفيق على مهمات التعريف، زين الدين العابدين، (ص343).

(103) تفسير القرآن الكريم، ابن قيم الجوزية (ص13).

(104) لسان العرب، ابن منظور (ج11/390). القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (ص1024).

(105) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص509).

(106) انظر: الإسلام وثقافة الإنسان، سميح الزين، (ص125). التعريفات، الجرجاني (ص138).

عظيم وضروري، وذلك ليعلم المرء أن من يسير وفق سنن الله فإنه سيجازي في كافة أمورهِ، فالهدى والضلال هما قلب أبواب القدر كما شبهه الإمام ابن قيم الجوزية (107)، فالهدى أفضل نعمة يقدرها ويقسمها الله ﷻ لعباده؛ وذلك لأنها هي التي توصل العبد إلى المنهج القويم، وكما أن الضلال هو أعظم مصيبة يبئلي الله ﷻ به عباده، وهو عكس الهداية، وهما يعتبران أساس التوفيق أو الخذلان للعبد في هذه الحياة الدنيا، كما أنه ﷻ خلق الإنسان وجعل فيه ميلاً إلى الهدى أو الضلال فقد اقتضت سنته انقسام البشرية على أساس الإيمان والكفر والهدى والضلال إلى قسمين قسم مصدقين بالحق، وقسم مكذبين به معارضين له، ومن ثم تتوالى سنن الله بعد ذلك تعمل عملها في كلا الطرفين، كما ورد في قوله ﷻ : ﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَضَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾ [النحل:36]، فإله ﷻ ذكر أنه هناك فريق استجاب، وفريق هلك وشرذ واختار طريق الضلال، وكلا الفريقين لم يخرج على مشيئة الله وكذلك لم يقصره الله على هدى أو ضلالة، وإنما سلك طريقه وهدايته وضلالته الذي شاءت إرادة الله أن تجعل إرادته في سلوكه بعد ما عرفه وزوده بمعالم الطريق في نفسه وأيضاً في الآفاق، وكذلك ينفي الله في القرآن الكريم وهم الإجماع الذي لوح به المشركون، والذي يستند إليه كثير من الفاسقين والعصاة، فالله يأمر عباده بالخير وينهاهم عن الشر، فلا مجال بعد هذا لأن إرادة الله تتدخل لترغمهم على الانحراف ثم يعاقبهم عليه إنما هم متروكون لاختيار طريقهم وهذه هي إرادة الله، وكل ما يصدر عنهم من خير أو شر من هدى ومن ضلال يتم وفق مشيئة الله على هذا المعنى ومن ثم يعقب على هذا بخطاب إلى الرسول ﷺ الذي يقرر سنة الله ﷻ في الهدى والضلال حيث قال ﷻ : ﴿ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [النحل:37]، فليس الهدى أو الضلال بحرص الأنبياء على هدى أقوامهم أو عدم حرصهم، فوظيفتهم البلاغ أما الهدى أو الضلال فيمضي وفق سنة الله ﷻ وهذه السنة لا تتخلف ولا تتغير عواقبها، فمن أضله الله لأنه استحق الضلال وفق سنة الله، فإن الله لا يهديه، لأن الله ﷻ سننا تعطي نتائجها، وهكذا شاء، فإن شأن الله ﷻ وأمره أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلهذا قال: لا يهدي من يضل أي من أضله، فمن ذا الذي يهديه من بعد الله والله فعال لما يشاء (108)، فالله ﷻ هو الهادي والمضل، والإنسان هو المهتدي والضال، فالإنسان له قدرة، وإرادة، وفعل، والله ﷻ خالقه وخالق فعله وإرادته، فهو ﷻ قادر مستقل، والإنسان قادر بجعل الله ﷻ له قادراً (109).

من خلال ما سبق بيانه يتبين أن الإنسان غير مجبور على أفعاله الاختيارية، خلافاً لما زعمته الجبرية بأن العبد مجبور على جميع أفعاله وأن أفعاله هي أفعال الله، والقدرية التي ادعت بأن العبد هو خالق أفعاله، فمنهج السلف الصالح هو المنهج الوسط بين الجبرية والقدرية، القائم على أن الله ﷻ أعطى العبد القدرة والاختيار في الفعل والترك، وكل عبد يُدرك هذا ويدرك هذا فهو يملك قدرة وإرادة، فهو له إرادة ومشية موافقة لمشية الله ﷻ وإرادته، فلا تنفذ مشيئته إلا بمشيئة الله ﷻ، ومنها الهداية والضلال، فالله ﷻ لا يهدي ولا يضل أحداً إلا بمشيئته ﷻ، ومما يؤكد ذلك قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:24]، وقوله ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة:115]، ومما اتفق عليه علماء السلف أن الله ﷻ منَّ على عباده الطائعين الموحدين به بنعمة دينية عظيمة خصهم بها دون غيرهم من عباده الكافرين، وأنه قد أعانهم على الطاعة إعانة كبيرة جداً، وحبب إليه الإيمان

(107) انظر: شفاء العليل، ابن قيم الجوزية (ص65)

(108) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج4/489-490). في ظلال القرآن، سيد قطب (ج6/266-267)

(2) انظر: درع تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (ج1/86). منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (ج3/110).

وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر، والفسوق، والعصيان، وذلك واضح من قوله ﷺ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَمَنِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات:7] (110).

فالإيمان بالقدر وإدراكه جيداً، وأن الله ﷻ بيده كل شيء وخالق كل شيء، فما شاء الله ﷻ كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن كل شيء عنده بمقدار، فإن ذلك يجعل الإنسان مطمئن النفس بعيداً عن القلق والضلال، وأن الهدى والضلال لها تعلق كبير بالقدر وما كتبه الله ﷻ في اللوح المحفوظ، وما على الإنسان إلا الأخذ بالأسباب ودعاء الله ﷻ بالهداية وطاعته ﷻ التي تعين على الهداية في كل وقت وحين، فقد قال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:125]، فالإنسان له إرادة وحرية اختيار في أي اتجاه يختاره سواء أكان الهدى أو الضلال، ومن سلك طريق الهدى شرح الله ﷻ صدره ووفقه وهداه إلى طريق الحق والإيمان، ومن سلك طريق الضلالة فإن الله ﷻ يضلّه وذلك لسيره في طريق الضلالة والفساد فمنهم من يضلهم ويعاقبهم ومن ثم بعد ذلك يهديهم، ومنهم من يختم ويطلع على قلبه بالكفر والضلال.

كما ورد في قوله ﷻ: ﴿فَمَنْ أَمَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس:108]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ﴾ [الإسراء:97]، وقوله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلَّهُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ [الزمر:23]، وما ورد عن جابرٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ، يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُبَشِّرُهُمْ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: "مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ" (111).

المطلب الثاني: سنة الله في السعادة والشقاوة.

أولاً: تعريف السعادة لغةً واصطلاحاً.

السعادة لغةً: مشتقة من سعد، والسعد اليمين، تقول سعد يومنا من باب خضع، وهو نقيض النحس، والسعادة خلاف الشقاوة، يقال يوم سعد ويوم نحس، ويقال سعد يسعد سعدًا، فهو سعيد، نقيض شقي، وأصل الاسعاد والمساعدة متابعة العبد أمور ربه ورضاه (112)، أما اصطلاحاً: فهي معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير وتضادها الشقاوة (113).

ثانياً: تعريف الشقاوة لغةً واصطلاحاً.

الشقاوة لغةً: وهو ضد السعادة والأشقياء ضد السعداء. يقال أشقاه الله فهو شقي بين الشقوة الشقوة والشقاوة (114)، وقيل: قد وُضع الشقاء موضع التعب، نحو شقيت في كذا، وكلّ شقاوة تعب، وليس كلّ تعب شقاوة (115).

إن من السنن الاجتماعية والمتعلقة بالمجتمعات والأفراد سنة الله في السعادة والشقاوة، فالسعيد هو من اهتدى بسنة الله واتبع رضوانه، والشقي هو من ضل عن المسار السوي، واتبع سبل الشيطان، فمن اتبع هدى الله وعمل بشريعته فهو في أمان من الضلال والشقاوة، وذلك لأن الشقاء هو نتيجة الضلال (116).

(3) انظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (ج3/43-44).

(1) [صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (ج2/593)، حديث رقم 867].

(112) انظر: لسان العرب، ابن منظور (ج3/213).

(113) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي (ج3/221).

(114) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ج2/493).

(115) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي (ج3/332).

(116) انظر: الفوائد، ابن قيم الجوزية (ص134).

ومما قضاه الله وقدره السعادة والشقاوة، فالله ﷻ تقدم علمه وكتابه وقضاؤه بما سيصير إليه العباد من السعادة والشقاوة كما تقدم علمه وكتابه بغير ذلك من أحوال العباد وأفعالهم⁽¹¹⁷⁾، عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، قَالَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَاقِبَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضَعَّةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيَقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا زِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا زِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ"⁽¹¹⁸⁾، فإن الله ﷻ قدر السعادة والشقاوة بأسبابهما، والسعيد من سعد بقضاء الله ﷻ، والشقي من شقي بقضاء الله ﷻ وقدره، قال ابن رجب: " فيه أن السعادة والشقاوة قد سبق الكتاب بهما، وأن ذلك مقدر بحسب الأعمال، وأن كلاً ميسر لما خلق له من الأعمال التي هي سبب السعادة أو الشقاوة"⁽¹¹⁹⁾.

ولكن مما هو معلوم أن القدر السابق يعين على العمل، والجد، والاجتهاد، ومما يؤكد ذلك أن الصحابة حينما سألوا الرسول عن ذلك وتركهم للعمل، وفيما يعمل العاملون!، فقد أجابهم كما ورد عن النبي ﷺ قال: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: "أَمَّا أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُنَبِّئُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَيُنَبِّئُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: 6]⁽¹²⁰⁾، فهذا الحديث وغيره يؤكد على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه بل يوجب العمل والجد والاجتهاد⁽¹²¹⁾.

وقد نهى أن يتكل الإنسان على القدر السابق، ويدع العمل؛ ولهذا كان من اتكل على القدر السابق، وترك ما أمر به من الأعمال هو من الخاسرين في الحياة الدنيا، وكان تركهم لما يجب عليهم من العمل من جملة المقذور الذي يسروا به لعمل أهل الشقاوة فإن أهل السعادة هم الذين يفعلون الأمور ويتركون المحظور فمن ترك العمل الواجب الذي أمر به وفعل المحظور متكلًا على القدر كان من جملة أهل الشقاوة الميسرين لعمل أهل الشقاوة⁽¹²²⁾.

وعلى ذلك فمن كان من أهل الجنة يسره الله ﷻ للعمل بعمل أهل الجنة وتوفاه عليه، وأحيانًا نجد هناك من يقول أنا أدخل الجنة سواء كنت مؤمنًا أو كافرًا، إذا علم أنه من أهلها كان مفتريًا على الله ﷻ في ذلك، فإن الله ﷻ إنما علم أنه يدخلها بالإيمان وبالتوحيد، فإذا لم يكن معه إيمان ولا توحيد لم يكن هذا هو الذي علم الله ﷻ أنه يدخل الجنة بل لم يكن مؤمنًا وهو كافر، فالله ﷻ يعلم أنه من أهل النار لا من أهل الجنة⁽¹²³⁾، وقد قدر ﷻ السبب والمسبب، أو السبب والنتيجة، وقد ذكرت ذلك سابقًا بالتفصيل، فإذا هدى الله ﷻ الإنسان إلى السبب وقام به تتييسر له النتيجة بكل ثقة، فالله ﷻ يعلم جميع الأمور على ما هي عليه وقد جعل للأشياء أسبابًا تكون بها، فيعلم أنها تكون بتلك الأسباب، فمثلًا إذا علم الله ﷻ أن هذا ينبت له الزرع بما يسقيه من الماء ويبذره من الحب، فلو قال أحد: إذا علم أن سيكون فلا حاجة إلى البذر كان جاهلاً ضالاً⁽¹²⁴⁾.

(117) انظر: فلسفة السعادة عند ابن تيمية، ابن تيمية (ص6).

(8) [صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (ج4/111)، حديث رقم3208].

(119) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبدالله الغنيمان (ج2/189).

(120) [صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر، (ج2/96). حديث رقم1362].

(121) انظر: شفاء العليل، ابن قيم الجوزية (25).

(122) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج8/275-276).

(123) انظر: المرجع السابق (ج8/69). جامع الرسائل، ابن تيمية (ج1/146).

(124) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج8/68).

ومن الأمور المتعلقة بالسعادة وأحد أسبابها تحكيم شرع الله ﷺ والعمل بأحكامه وتشريعاته، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فهذا الأمر متعلق بالبشرية جمعاء، سواء من سعادة أو شقاوة، فإذا كان الحكم فيها وفق ما ارتضاه الله وما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية وتطبيق أحكامهما في جميع مناحي الحياة سعد الناس وعاشوا في سعادة ورضا وعدل، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58]، وما أجمل ما قاله الإمام ابن تيمية -رحمه الله- في بيان ذلك: "وأمر الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم يشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وقد قال النبي ﷺ "مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنَ الْبَغْيِ، وَقَطِيعَةِ الرَّحْمِ"⁽¹²⁵⁾، فليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعه الرحم فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة وذلك أن العدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق"⁽¹²⁶⁾، فتطبيق شريعة الإسلام والتوحيد والحكم بما أنزل الله فهذا بدوره يؤدي إلى سعادة المجتمع بأكمله وسبب في التطور والتقدم الحضاري، وإذا كان هناك مخالفة لذلك وتحكيم القوانين الوضعية وتقديمها على حكم الله وشريعته فإن ذلك يؤدي إلى سيادة الشقاوة والظلم والفساد والتخلف الحضاري، وهذا ما يسمى بسنة التداول الحضاري وهي سنة تحكم حركة الحياة وحركة التاريخ، وتتمثل في نظام التعاقب والتناوب الحضاري، وهذا ما هو مشاهد في واقعنا من التنازع بين الحضارات، والغزو الفكري المنظم من أجل الانسلاخ عن الإسلام والعقيدة الصحيحة، وتغيب الإسلام وطمس هوية الإسلام والعقيدة (127).

المطلب الثالث: سنة الله في الآجال.

من السنن الاجتماعية والمتعلقة بالقدر تعلقاً وثيقاً، سنة الله ﷻ في الآجال، وأن الله قدر آجال العباد بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، كما دل على ذلك قوله ﷻ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: 49]، أي أن لكل شيء أجلاً مسمى يبلغ فيه نضجه وكماله، فلا ينبغي أن يستعجل الشيء قبل أن يبلغ أجله المقدر لمثله، ومن القواعد المقررة في الإسلام أن من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، فلكل شيء أجلاً مسمى (128). فالمقتول يموت وهو مستوفي أجله، فإله ﷻ علم وكتب وقدر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض، وذاك يموت بسبب القتل، وذاك يموت بسبب الاحراق، وذاك يموت بسبب الغرق، وهكذا إلى غير ذلك من الأسباب، فإله خلق العباد وخلق الموت والحياة، وأيضاً خلق سبب للموت والحياة (129)، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: 145]. قال سيد قطب: "إن لكل نفس كتاباً مؤجلاً إلى أجل مرسوم، ولن تموت نفس حتى تستوفي هذا الأجل المرسوم، فالخوف والهلع، والحرص والتخلف، لا تطيل أجلاً، والشجاعة والثبات والإقدام والوفاء لا تقصر عمراً، فلا كان الجبن، ولا نامت أعين

(125) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب الزهد، باب البغي، ج2/1408، حديث رقم 4211، قال الألباني: حديث صحيح.

(126) الاستقامة، ابن تيمية (ج2/245-246)

(127) انظر: السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، توفيق الغليزوري (ص34)

(128) انظر: الإيمان بالقدر، علي الصلابي (ص351). الصحوة الإسلامية، يوسف القرضاوي (ص106-107)

(129) انظر: المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية، الغنيمي (ص302-303). كطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة الفيرواني، عبد المحسن

البيدر (ص95).

الجناء، والأجل المكتوب لا ينقص منه يوم ولا يزيد بذلك تستقر حقيقة الأجل في النفس، فترك الاشتغال به، ولا تجعله في الحساب، وهي تفكر في الأداء والوفاء بالالتزامات والتكاليف الإيمانية⁽¹³⁰⁾.

وقد يسأل بعض العوام ويشكل عليه فهم هذه المسألة فإذا كان الله علم كل ما هو كائن إلى يوم القيامة من الأرزاق والآجال والأعمار، وكُتب ما قدره الله ﷻ على كل إنسان في اللوح المحفوظ، فإنه لا يتغير ولا يتبدل، فما المراد من قول الله ﷻ: ﴿يُنحَرُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِدَّةُ أُمِّ الْكُتَابِ﴾ [الرعد:39]، وقد سبق الإشارة إلى أن القدر منه ما يسمى المطلق أو المثبت وهو ما هو موجود في اللوح المحفوظ وفي أم الكتاب، وهذا ثابت لا يتغير ولا يتبدل، فلا محو فيه ولا إثبات، ومنه القدر المقيد، أو المعلق وهو ما كتبه الملائكة، مع وجوده في اللوح المحفوظ وهذا الذي يقع فيه المحو والإثبات، وبناءً على ذلك، فالآجال، والأرزاق الموجودة في اللوح المحفوظ لا تتغير ولا تتبدل، بينما الموجودة في صفحة الملائكة هي التي يقع فيها المحو، والإثبات، والزيادة، والنقص⁽¹³¹⁾، ومما يؤكد ذلك كلام ابن تيمية: "والأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله ﷻ، وأجل مقيد، وبهذا يتبين معنى قوله ﷻ "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحْمَتَهُ"⁽¹³²⁾ فإن الله ﷻ أمر الملك أن يكتب له أجلاً، وقال ابن تيمية: "إن وصل رحمه زنته كذا وكذا، والملك لا يعلم أيزداد أم لا؛ لكن الله ﷻ يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر"⁽¹³³⁾، وكذلك الرزق نوعان: الأول: ما علمه الله ﷻ أنه يرزقه فهذا لا يتغير ولا يتبدل، والثاني: ما كتبه وأخبر به الملائكة فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب⁽¹³⁴⁾، فإذا وصل الإنسان رحمه زاد الله ﷻ له في رزقه وأجله، والعكس تماماً، فالله ﷻ عالم بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؛ فهو يعلم ما كتبه له وما يزيده إياه بعد ذلك والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله ﷻ والله ﷻ يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها⁽¹³⁵⁾، فيكون ما كتب في صحفهم من أوامر الله ﷻ لهم، ولذلك قال الإمام ابن تيمية: "البركة هي الزيادة في العمل والنفع وهي أيضاً مقدرة مكتوبة وتتناول لجميع الأشياء، والجواب المحقق أن الله ﷻ يكتب للعبد أجلاً في صحف الملائكة فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب.... فهو يعلم ما كتبه له وما يزيده إياه بعد ذلك والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله ﷻ، والله ﷻ يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها"⁽¹³⁶⁾، وإرادة الإنسان وتفكيره وحركته وفاعليته هي جزء من سنن الله يفعل بها ما يفعل، ويحقق بها ما يحقق في نطاق قدره وتدبيره.

فاله حين وهب الإنسان كينونته وفكره وإرادته وتقديره وتدبيره وفاعليته في الأرض لم يجعل شيئاً من هذا كله متعارضاً مع سنته ولا منافياً لمشيئته ﷻ، فالمرء الذي تجري عليه السنن الحتمية بحركاته الإرادية وبأفعاله التي ينشئها حسب تفكيره وتدبيره، وتؤثر فيه فيكون كل ما سبق يقع موافقاً لقدرة الله ومشيئته، ومما لا شك فيه أن هذه السنن لا تتعارض مع المشيئة ولا خارجة كذلك عن الحكمة الأخيرة وراء قدره في هذا الكون⁽¹³⁷⁾.

المطلب الرابع: سنة الله في الأسباب ومسبباتها.

(130) في ظلال القرآن، سيد قطب(ج2/266).

(131) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج8/517).

(132) [صحيح البخاري، البخاري، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق، (ج3/56). حديث رقم 2067].

(133) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج8/517). مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، بدر الدين البعلي (ص188).

(134) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية(ج8/540).

(135) انظر: المرجع السابق (ج14/490-492).

(136) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج14/490-491).

(137) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب(ج2/301).

تعريف السبب: هو "كل شيء يتوصل به إلى غيره وكل شيء يتوصل به إلى شيءٍ غيره وقد تسبب إليه، والجمع أسباب وكل شيء يتوصل به إلى الشيء فهو سبب وجعلت فلانا لي سبباً إلى فلان في حاجتي، والسبب هو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء" (138)

من السنن الاجتماعية والمتداولة بين الأفراد والمجتمعات سنة الله ﷻ في الأسباب ومسبباتها، فقد جرت سنة الله ﷻ في المنظومة الكونية أن لكل شيء أو أمر ما يحدث سبب، سواء كان يتعلق بالجماد أو النبات أو الحيوانات، فهو قانون يشمل جميع ما يتعلق بالكون، فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله ﷻ خالق الأسباب ومسبباتها⁽¹³⁹⁾، وعليه يمكن تعريف السبب بأنه هو ما يعلم به الشيء أو الأمر، فالله ﷻ قد جعل للأشياء والأمور أسباباً تُوجد وتكون بها، ويعلم أنها تكون بتلك الأسباب⁽¹⁴⁰⁾.

فسنن الله قائمة على أن هناك علاقة بين السبب والمسبب، فما من سبب إلا وله مسبب، فهناك علاقة وطيدة بين السبب والمسبب، كما في مسألة الدعاء، فدعاء الله سبب لحصول ما يرجوه المرء يتمناه، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]، قال ابن تيمية في هذه الآية: "الدعاء في اقتضائه الإجابة كسائر الأعمال الصالحة في اقتضائها الإثابة وكسائر الأسباب في اقتضائها المسببات"⁽¹⁴¹⁾، فالله ﷻ أمر عباده بالدعاء والاستغفار وبغيرهما من الأسباب المؤدية إلى مسبباتها من تفریح الكروب وغفران الذنوب وتحصيل وتحقيق الأمنيات، ومن قال أنا لا أدعو ولا أسأل الله ﷻ ولا أستغفره، اعتماداً وانكالا على القدر، كان مخطئاً، لأن الله ﷻ جعل الدعاء ونحوه من العبادات وأسباباً تتال بها مغفرته ورحمته وهده ونصره، وإذا قدر الله للعبد خيراً يناله بالدعاء أو بغيره من الأسباب لم يحصل ما قدره له بغير هذا السبب من الدعاء وغيره⁽¹⁴²⁾

فالله ﷻ اقتضت حكمته ربط المسببات بأسبابها، والقرآن الكريم مملوء من ترتيب الأحكام الكونية والشرعية والثواب والعقاب على الأسباب بطرق متنوعة، فيأتي بباء السببية تارة، كما في قوله ﷻ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: 24]، وباللام تارة ﴿الرَّكَابَ أُنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1]، إلى غير ذلك الكثير من الأساليب حيث ذكرها الإمام ابن قيم في كتابه مدارج السالكين⁽¹⁴³⁾.

والعلاقة بين الأسباب والقدر تتضح لنا من خلال أن الله ﷻ قد علم كل شيء، وكتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، ومن ضمن ذلك الأسباب ومسبباتها، وجعل لكل شيء سبباً، ولكل مسبب كذلك جعل سبباً يكون بها، فيعلم أنها تكون بتلك الأسباب، فالله ﷻ يعلم كل ما في السموات والأرض قبل أن تقع، وما قدره الله ﷻ وعلمه، فإنما قدره الله ﷻ بأسباب ويسوق المقادير إلى المواقيت، فالأسباب والمسببات هي من جملة القدر التي علمها الله ﷻ وجرى بها قلمه، وتقع وفق ما علم أنها ستقع بتلك المسببات، كذلك فإن الإعراض عن الأسباب جملة واحدة فإن ذلك قدح في الدين، وكما أن مجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب؛ فإن المطر إذا نزل إلى الأرض وبذر الحب، فإن ذلك لم يكن كافياً في إنبات النبات، بل لا بد من ريح مربية بمشيئة الله ﷻ وإذنه، ولا بد من صرف الانتقاء عنه؛ فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع، وهذا كله بقضاء الله ﷻ وقدره⁽¹⁴⁴⁾.

(138) لسان العرب، ابن منظور (ج1/458)

(139) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج8/70). السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات، عبد الكريم زيدان (ص16)

(9) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج8/68).

(141) المرجع السابق (ج8/192)

(142) انظر: المرجع السابق (ج8/69-70) بتصرف

(143) انظر: مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (ج3/461-463)

(4) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج8/70).

ومن الآيات القرآنية التي تدل على الأسباب وأنها من القدر قوله ﷺ: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:49]، إن هذه الآية تبين أن الله ﷻ خالق كل شيء وفق نظام معين، وكل شيء فيه مقدر بقدر، جعل فيه لكل سبب مسبباً، ولكل مسبب سبباً، ولا يوجد شيء في هذا الكون إلا بسبب، والأسباب ومسبباتها هي من الله ﷻ وقد سبق وجرى بها القلم وفق علم الله ﷻ وقدره، فالمسببات من قدر الله ﷻ وأسبابها من قدر الله ﷻ، وكذلك الآثار والنتائج من قدر الله ﷻ، كما في قوله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:5-10]، ذكرت الآية بعد إخبار النبي ﷺ بحديث العمل وتقدير الله ﷻ له في القدر السابق، وقد تساءل البعض أنه طالما كتبت فما فائدة العمل بعد ذلك ... الحديث (145) ، فعندما أخبر النبي ﷻ بذلك أي بسبق المقادير وجرى القلم بها، قد اتكل البعض وظن أن ذلك يكفي ولا حاجة للعمل بعد ذلك طالما كُتِبَ لكل إنسان مقده من الجنة أو النار، فأخبرهم النبي ﷻ أن ذلك غير كاف، وجميع ذلك مقدر معلوم مكتوب قبل تكوينه، ومن ظن أن الشيء إذا علم وكتب فإنه يكفي ذلك في وجوده ولا يحتاج إلى ما به يكون من الفاعل الذي يفعله، وسائر الأسباب بمسبباتها، فهو جاهل لا يعلم حقيقة العلم، فجميع الأسباب قد تقدم علم الله ﷻ وكتابتها لها، وتقديره لها، وقضاؤه بها، وربط ذلك كله بالمسببات والأسباب (146) .

والجدير بالذكر أن الأسباب تنقسم إلى قسمين:

- 1- **القسم الأول:** الأسباب القدرية أو المقدرّة والمخلوقة كما يسميها الإمام ابن تيمية، وهي أسباب مقدرّة في الخلق، ويدخل فيها جميع الأشياء المقدرّة خلقاً وإيجاداً، مثل الإحراق للنار، والشبع بعد الطعام، والقطع بالنسبة للسيوف، فجميع هذه الأمور سبب لا يكون الحادث به وحده، بل لا بد من أن ينضم إليها سبب آخر (147) .
 - 2- **القسم الثاني:** الأسباب الشرعية، وهي التي جعلها الله ﷻ أسباباً بأمره الشرعي الديني، فأمر التكليف إما أن يفعل أمراً أو ينهاه عن فعل أمر ما، ويدخل ضمن هذا القسم جميع المأمورات وجميع المنهيات، فهي أسباب من وضع الشريعة لها (148) .
- فبالأسباب الشرعية والمخلوقة هي من القدر، وما يدل على ذلك ما رواه أبو خزيمة، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رُفِي نَسْرَتِيهَا وَدَوَاءٌ نَدَاوَى بِهِ وَتَقَاةٌ نَتَقِيهَا، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ شَيْئاً؟ قَالَ: "هِيَ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ" (149)، فيجب على الإنسان أن يأخذ بالأسباب، ويتوكل على الله ﷻ، ومن ظن أن التوكل يعني عن الأخذ بالأسباب المأمور بها، فهو ضال وجاهل، كما أنه لا يجوز له أن يعتمد على الأسباب؛ لأن ذلك فيه شرك وقدح في التوحيد، فالإنسان عليه أن يكون قلبه معتمداً على الله ﷻ لا على الأسباب، والله ﷻ يبسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة، فالأسباب والمسببات هي من قضاء الله ﷻ وقدره (150) .

فالإيمان بالقدر لا يعارض الأخذ بالأسباب المشروعة بل الأسباب مقدرّة أيضاً كالمسببات، فمن زعم أن الله قدر النتائج والمسببات من غير مقدماتها وأسبابها فقد ذهل عن حقيقة القدر وأعظم الفرية على الله فالأسباب مقدرّة كالمسببات (151)، فسنن الله ﷻ في كونه وشرعه تحتم علينا الأخذ بالأسباب كما فعل ذلك أشرف الخلق وأقواهم إيماناً النبي محمد ﷺ فقاوم الفقر بالعمل وقاوم الكفر بالجهد،

(145) [صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر، (ج2/96)، حديث رقم 1362].

(6) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج8/277) (ج8/67-68).

(1) انظر: أقوم ما قيل في القضاء والقدر، ابن تيمية (ص56-57).

(2) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج8/528).

(3) [سنن الترمذي، الترمذي، أبواب الطب، باب ما جاء في الرقى والأدوية، (ج4/399)، حديث رقم 2065]. قال الألباني: حسن لغيره. وقال الترمذي:

حديث حسن. انظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، الألباني (ج8/456).

(4) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج8/528-529).

(151) انظر: منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة، محمد كندو (ج1/428-429).

وقاوم المرض بالعلاج وغير ذلك من الأسباب ومسبباتها، فقدّر الله ﷻ حق ونافذ ولكنه ينفذ من خلال السنن التي أقام عليها الكون من خلال الأسباب التي خلقها وشرعها ﷻ وليستقيم عليها أمر الوجود ونظام التكليف فهذه السنن والأسباب جزء لا يتجزأ من قدر الله الشامل⁽¹⁵²⁾

المطلب الخامس: سنة الصراع بين الحق والباطل (سنة التدافع).

تعريف التدافع: دفع: "الدال والفاء والعين أصل واحد مشهور، يدل على تحية الشيء. يقال دَفَعْتُ الشيءَ أدفعُهُ دَفْعاً، ودافع الله عنه السوءَ دِفاعاً؛ والمدفَعُ: الفقير، لأن هذا بدافعه عند سؤاله إلى ذلك"⁽¹⁵³⁾، والمُدَافَعَةُ: المماطلة، واستدْفَعْتُ اللهَ الأسوأ، أي طلبتُ منه أن يَدْفَعَهَا عَنِّي. وتَدَافَعَ القومُ، أي دَفَعَ بعضهم بعضاً⁽¹⁵⁴⁾، فالدفع فيه معنى المغالبة على أمر أو الصراع عليه بين اثنين، سواء كان بين شخص وشخص أو بين أمة وأمة، أو حتى بين حق وباطل، وبين خير وشر ليتقرر أحدهما ولو بالقوة، فهو "صراع وقتال بين الناس"⁽¹⁵⁵⁾

سنة الصراع بين الحق والباطل (سنة التدافع) هي من السنن الإلهية الاجتماعية القدرية قائمة في كل زمان ومكان، "وحتىمة التدافع بين الحق والباطل أي بين أصحابهما أمر لا بدّ منه وحتىمة لأنهما ضدان، والضدان لا يجتمعان، ولأن تطبيق أحدهما يستلزم مزاحمة الآخر وطرده ودفعه وإزالته، أو في الأقل إضعافه ومنعه من أن يكون له تأثير في واقع الحياة، فلا يُتصوّر إذن أن يعيش الحق والباطل في سلم من دون غلبة أحدهما على الآخر إلا لعلّة كضعف أصحابهما أو جهلهم بمعاني الحق والباطل، ومقتضيات ولوازم هذه المعاني أو ضعف تأثير هذه المعاني فيهم"⁽¹⁵⁶⁾.

وقد وردت الكثير من الآيات القرآنية التي تدل على أن هذا الكون قائم على الصراع بين الحق والباطل، وأن هذه سنة من السنن الإلهية في الأمم والأفراد لا يستثنى منها أحد، وسنة الصراع بين الحق والباطل جارية وقائمة على إحقاق الحق وإبطال الباطل، كما حصل مع الأنبياء وأقوامهم خاصة في غزوة بدر حيث قال ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفِينَ أَنَّهُمْ لَكُمْ وَيُؤَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّكُوكِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: 7-8]، والمراد من الإرادة في قوله ﷻ "وَيُرِيدُ اللَّهُ" أنها إرادة خاصة وهي المتعلقة بالمشيئة، والمراد بالحق، دين الحق وهو الإسلام، وقد أطلق عليه اسم الحق في كثير من الآيات القرآنية كقوله ﷻ: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: 29]⁽¹⁵⁷⁾

ومن سنة التدافع نصر الله ﷻ للمؤمنين، فهي سنة لا تتخلف، قد تتأخر، لكنها حتمية الوقوع، ومن النصوص الدالة على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِيْلًا وَلَا نَصِيرًا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: 22-23] ، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ نَقُومُ الْأَشْهَادَ﴾ [غافر: 51]، فهذه سنة الله ﷻ في خلقه في قديم الدهر وحديثه، أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم⁽¹⁵⁸⁾، وهذه السنة جزء من الناموس الأكبر الذي يحكم الحياة البشرية، وقد ربط الله ﷻ بين نصره للمؤمنين، وبين الحق الذي تقوم عليه السماء والأرض والمنظومة الكونية بشكل عام.

(152) الإيمان بالقدر، يوسف القرضاوي (ص46-47)

(153) لسان العرب، ابن منظور (ج2/288)

(154) انظر: الصحاح في اللغة، الجوهري (ج1/208)

(155) انظر: السنن الإلهية، شريف الخطيب (ج1/107)

(156) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان (ص36)

(157) انظر: تفسير التحرير والتوير، ابن عاشور (ج9/271)

(158) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج7/136)

وأيضاً من الأدلة القرآنية قوله ﷺ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251] ، وقوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَبِيرًا وَيُنْصَرَّنَ اللَّهُ مِنْ بِنَصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 40] ، من خلال قراءة الآيات القرآنية السابقة نلاحظ أن السنة الإلهية في التدافع واضحة، فالله ﷻ قضى بأن التدافع سنة إلهية، وأن هذا التدافع لا بد منه ليبقى الصالح والنقي ويزول الطالح والفاقد، ليحيى من حي عن بيئته، ويهلك بالتالي من هلك وخسر عن بيئته، فلا ظلم يقع هنا ولا هناك، قال الشوكاني: "لولا ما شرعه الله ﷻ للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك، وزهدت مواضع العبادة من الأرض، وقيل: المعنى: لولا هذا الدفع لهدمت في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد المساجد، قال ابن عطية: هذا أصوب ما قيل في تأويل الآية" (159) .

وقد ضرب الله ﷻ لرسوله ﷺ وللمؤمنين مثلاً بمن سبقهم من أصحاب الرسالات والديانات، والذين صبروا على شدة الابتلاء، وطول الطريق، وصعوبة انتظار النصر، ورغم ذلك لم يستعجلوا قال ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ﴾ [البقرة: 214]، بلا وأجل إن نصر الله قريب، ولكن له موعد وأجل مسمى ولا يعجل الله بعجلة أحد من خلقه، وسنة الله اقتضت أن له موعداً وأجلاً مسمى (160) .

ومما لاشك فيه أن سنة التدافع أو الصراع بين الحق والباطل هي كغيرها من باقي السنن الإلهية الاجتماعية والكونية، نافذة كما تمضي هذه الكواكب والنجوم والمجرات في حركات منتظمة، وكذلك مثل تعاقب الليل والنهار، بل إنها أكثر مضياً ونفاذاً من غيرها، لأن هذه السنة المادية قد تنحرق لتحقيق سنة النصر للمؤمنين، أو لحكمة أرادها الله ﷻ، ومن هنا تتضح علاقة تلك السنة - سنة التدافع - بالقدر فتحقيق النصر للمؤمنين والهزيمة للكافرين أجلاً مقدراً ووقتاً محدداً، لا يعلمه إلا الله ﷻ وإن هذا الأجل المقدر لا يتقدم، وإن عذب المؤمنون وأوذوا في سبيل نصرته الحق، فالله ﷻ لا يتعجل بعجلة أحد فالنصر يحيى في الزمان الذي يقدره الله ﷻ والذي يكون قد هيأت له الأسباب والزمان والمكان، وقد يكون الأجل بعيداً ولكن لا خلف في وعد الله وسنته لأنها صادرة عن إرادته ﷻ وحكمته وهو قادر على تحقيقه ولا راد لمشيئته ولا مبدل لحكمه ولا معقب لأمره ولا يكون في هذا الكون إلا ما شاءه ﷻ (161)، فسنة الله ﷻ في الصراع، والتدافع ماثلة إلى يومنا وعصرنا هذا أكثر من أي وقت مضى، فهذا التدافع بين الحق والباطل هو نعمة على البشرية، إذ لو ترك الفاسد يشيع الفساد في الأرض ويستضعف الصالحين، وهم لا قوة لهم لتهدمت كل القيم وكل الأشياء الجميلة في هذا الكون، حتى أماكن العبادة والتدافع بين الحق والباطل في حقيقته إنما هو صراع بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل، أي بين المؤمنين وغيرهم، ومن هنا يحدث بينهم الصراع والتعارض والتزاحم ثم ينتج عنه التدافع بين الفريقين (162)

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه وهدايته تُرَدُّ وتُبْطَلُ الشبهات، والصلاة والسلام على نبيه محمد ﷺ خير البريات وعلى آله وصحبه، وبعد .

ففي نهاية هذا البحث لا بد لنا من وقفة نستجمع فيها بعض ثماره ونعرض فيها ما توصلنا إليه من نتائج وتوصيات وهي على النحو الآتي:

(159) فتح القدير، الشوكاني (ج3/540-541).

(160) انظر: الصحوة الإسلامية، القرصاوي (ص107).

(161) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (ج7/447-446) (ج9/40)

(162) انظر: السنن الإلهية، حسني العطار (ص24)

أولاً: النتائج.

- 1- أن السنن الكونية هي القانون والنظام الذي أجرى الله عليه الكون بأكمله وأخضع إليه جميع المخلوقات.
- 2- السنن الإلهية لها خصائص، وقد دلت عليها نصوص الكتاب والسنة النبوية فهي شاملة وربانية وحتمية الوقوع، وثابتة لا تتحول ولا تتغير، ولا تحابي أحد.
- 3- إن دراسة السنن الإلهية لها علاقة وثيقة بالقدر، فالسنن مما قدره الله ﷻ، فقد قدر الله ﷻ للعباد ولجميع المنظومة الكونية أن تسير منظمة وفق نواميس وقوانين وسنن أرادها ﷻ وبينها، والسنن ونتائجها وما يترتب عليها كلها من قدر الله ﷻ.
- 4- إن الكون بجانبيه الكوني وما فيه من سنن الله في الليل والنهار، والشمس والقمر، والسماء والأرض، وحركة النجوم والمجرات، والجانب الاجتماعي بما فيه من سنن الله في الهداية والضلال والسعادة والشقاوة، والأجال، والأسباب ومسبباتها، وسنة النصر والتمكين، سنن حتمية الوقوع وتخضع لسنن ثابتة تعمل على تنظيم سيره وحركته كما أراد الله.
- 5- إن دراسة السنن الإلهية بأنواعها المختلفة الكونية والاجتماعية تفتح مجالات متعددة وأفاق واسعة في البحث العلمي واكتشاف القوانين والنظريات العلمية وذلك من أجل تسخير كل ما في الكون لصالح البشرية واستمرارية التقدم العلمي والحضاري.
- 6- يتعرض الجميع المسلم والكافر لسنن الله على حد سواء فمن تعرض لها استفاد، ومن أهملها ألحق الضرر لنفسه، وهذا يبين لنا أنه يجب على المسلمين أن يتعرفوا على سنن الإله الكونية ويعملوا عليها لما في ذلك من مصالح للبشرية وتقدم علمي وحضاري على حد سواء.
- 7- لا يوجد تعارض وتناقض البتة بين السنن التي تجري على البشرية بسبب إرادتهم وأفعالهم المختارة التي تنشأ حسب إرادتهم، وبين إرادة الله ومشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.
- 8- تضمن البحث بعض الآيات القرآنية التي تدل على السنن الإلهية الكونية، وقد اكتشف العلماء العديد من النظريات والحقائق العلمية من خلال هذه السنن الإلهية، فوجود السنن الإلهية في القرآن الكريم والسنة النبوية يدفع العلماء للبحث والاكتشاف والاختراعات العلمية لما فيه الفائدة للبشرية جمعاء.
- 9- إن كل شيء في المنظومة الكونية يسير وفق نظام دقيق ومحكم دون زيادة فيه ولا نقصان، ولو زاد أحدهما على الآخر أو نقص لاختل النظام بأكمله ولتعطلت مصالح العباد، فالسنن الإلهية ثابتة لا تتبدل ولا تتحول.
- 10- من خلال الدراسة تبين أن السنن الاجتماعية تقوم على ربط الأسباب بمسبباتها، والنتائج ومقدماتها، ومبدأ السببية لا ينافي القدر، فقدر الله مبني على علم الله الأزلي بالأسباب ومسبباتها.
- 11- إن التعمق في معرفة السنن الإلهية يزيد من إيمان المرء، فالإيمان والاعتقاد بأن لها موجداً وخالقاً يثبت الإيمان ويزيده، ناهيك على أن مصدر السنن الإلهية مستمد من الكتاب والسنة، وكلاهما وحي من الله.
- 12- إن البحث في السنن الإلهية يزود المعرفة والثقافة الإسلامية بالعديد من النظريات والحقائق العلمية التي تخدم المعرفة في الإسلام.
- 13- إن سنة الله في التدافع بين الأمم سنة إلهية ماضية فإذا أخذت الأمة المؤمنة بأسباب النصر كان النصر حليفها حسب سنة الله في نصر المؤمنين وهزيمة الكافرين، ولكن إذا قصرت في أسباب النصر ووقعت في الهزيمة فهذا قدر الله وسنته كذلك، ولكن النصر في النهاية للطائفة المؤمنة تحقيقاً لسنة الله في إظهار الحق وإبطال الباطل.

ثانياً: التوصيات:

- 1- نوصي الباحثين وعلماء المسلمين بالاجتهاد وتكثيف الجهود في دراسة السنن الإلهية وبيان ما فيها من الاكتشافات والاختراعات العلمية الموافقة للكتاب والسنة النبوية وإخراجها في علم خاص بها.

2- نوصي الدعاة والعلماء بنشر مثل هذه الموضوعات والعمل على تفعيلها بين الناس وتوعيتهم بها فهي لا تقل أهمية عن غيرها من موضوعات العقيدة المختلفة.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

القرآن الكريم.

إبراهيم الوزير: (1409هـ-1989م)، على مشارف القرن الخامس للهجري-دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر، الطبعة الرابعة، دار الشروق.

ابن أبي العز الحنفي، (1391هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، الطبعة الرابعة، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت.
ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى: 606هـ)، (1399هـ-1979م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ-)، (د.ت)، مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه، المحقق: د. محمد رشاد سالم.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ-)، (1403هـ) الاستقامة، الطبعة الأولى، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ-)، (د.ت)، أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ-)، قاعدة في المحبة، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ-)، (1424هـ-2003م)، القصيدة الثائية في القدر، الطبعة الأولى، شرح وتحقيق: محمد بن إبراهيم الحمد، الناشر: دار ابن خزيمة - الرياض.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ-)، (1406هـ-1986م)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، الطبعة الأولى، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ-)، (1422هـ-2001م)، جامع الرسائل، الطبعة الأولى، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء - الرياض.

ابن تيمية، (د.ت)، فلسفة السعادة عند ابن تيمية.

- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني (المتوفى: 728هـ) (1416هـ/1995م)، **مجموع الفتاوى**، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، **الحسنة والسيئة**، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، (1411هـ-1991م)، **درع تعارض العقل والنقل**، الطبعة الثانية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، (1404هـ)، **دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية**، الطبعة الثانية، المحقق: د. محمد السيد الجليند، الناشر: مؤسسة علوم القرآن - دمشق،
- ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، (1984هـ)، **التحرير والتنوير** "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس.
- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، (1399هـ-1979م)، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، (1398هـ-1978م)، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، (1416هـ-1996م)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، الطبعة الثالثة، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.
- ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، (1393هـ-1973هـ)، **الفوائد**، الطبعة الثانية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، (1420هـ-1999م)، **تفسير القرآن العظيم**، الطبعة الثانية، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، (1414هـ)، **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، الناشر: دار صادر - بيروت.
- أبو بكر الجزائري، (د.ت). **عقيدة المؤمن** (د.ط). مكتبة العلوم والحكم السعودية دار العقيدة.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، (1384هـ-1964م)، **الجامع لأحكام القرآن** = تفسير القرطبي، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة .
- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، (د.ت)، **الفروق اللغوية**، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل الشافعي. (1379هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.
- الأشقر: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، (1419هـ - 1999م)، العقيدة في الله، الطبعة الثانية عشر، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن.
- الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، (1412هـ)، المفردات في غريب القرآن، الطبعة الأولى، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، آلاء الفوارعة (2007م)، السنن الإلهية في النفس البشرية في الحديث النبوي، جامعة آل البيت.
- أيمن المغربي، (1427هـ - 1428هـ)، السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم جمعًا ودراسة، أيمن المغربي، رسالة ماجستير مقدمة من الباحث أيمن المغربي، جامعة أم القرى .
- البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، (1422هـ) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، الطبعة الأولى، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة .
- البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، (1418هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الطبعة الأولى، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، (1395هـ - 1975م)، سنن الترمذي، الطبعة الثانية، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.
- توفيق الغلبوزوري، (د.ت)، السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، للدكتور، كلية أصول الدين - جامعة القرويين - المملكة المغربية
- الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، (1407هـ - 1987م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة الرابعة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت.
- حافظ بن احمد الحكمي، (د.ت) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، (د.ط)
- الحجازي، محمد محمود، (1413هـ)، التفسير الواضح، الطبعة العاشرة، الناشر: دار الجيل الجديد - بيروت.
- حسني محمد العطار، (د.ت)، السنن الإلهية وحركة النهضة الإنسانية.
- الخطيب: محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، (1400هـ - 1980م)، السنة قبل التدوين أصل هذا الكتاب: رسالة ماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، الطبعة الثالثة، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- الدارمي: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: 354هـ)، (1424هـ - 2003م)، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشأذه من محفوظه، الطبعة الأولى، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: 739هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية.
- الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، (1420هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الطبعة الثالثة، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، (د.ت)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية الزحيلي: وهبة بن مصطفى الزحيلي، (1418هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الطبعة الثانية، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق.

زغول النجار، (1428هـ - 2007م). تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدولية. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، (1407هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة الثالثة، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.

الزهراني: أبو ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني (المتوفى: 1427هـ)، (1417هـ - 1996م)، تدوين السنة النبوية نشأتها وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، الطبعة الأولى، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلمي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ—)، (1424هـ— 2003م)، كشف الكربة في وصف أهل الغربية، الطبعة الثانية، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر،

زينب منصور (2001م)، الموسوعة الفلكية، الكون، الفضاء، الأرض، الطبعة الأولى-عمان-الأردن.

السفاريني: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: 1188هـ)، (1402هـ - 1982م)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضوية في عقد الفرقة المرضية، الطبعة الثانية، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق.

سيد سابق (المتوفى: 1420هـ)، العقائد الإسلامية، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت

السيد سابق، (د.ت)، العقائد الإسلامية، الناشر: الفتح للإعلام العربي. القاهرة

السيد طه، (د.ت)، السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع.

سيد قطب، إبراهيم حسين الشاربي. (1412هـ). في ظلال القرآن. الطبعة السابعة عشر، بيروت-القاهرة: دار الشروق.

شريف الخطيب، (1415هـ - 2004م)، السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، الطبعة الأولى.

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، (1419هـ - 1999م)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الطبعة الأولى، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي.

عبد الآخر الغنيمي، (1437)، المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي.

عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني. (1399هـ - 1979م). العقيدة الإسلامية وأسسها، الطبعة الثانية دار القلم دمشق بيروت.

عبد الكريم زيدان، (د.ت) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، (د.ط) مؤسسة الرسالة.

عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.

عبد الله بن عبد القادر التليدي (د.ت). (د.ط). دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون. دار ابن حزم.

عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، (1423هـ - 2002م)، كطف الجنبي الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، الطبعة الأولى، الناشر: دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- علي محمد محمد الصلابي، (1432هـ - 2011م)، الإيمان بالقدر، الطبعة الثانية، دار المعرفة- بيروت لبنان.
- عماد الدين خليل، (1403هـ) حول إعادة تشكيل العقل المسلم، الطبعة الأولى.
- عماد الدين خليل، (1405هـ - 1985م)، مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة.
- عماد خصاونة وخضر فزق، مجلة المنارة، المجلد الخامس عشر، 2009م، السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل.
- عمر العرابوي الحملاوي (المتوفى: 1405هـ)، (1404هـ - 1984م)، التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»، الناشر: مطبعة الوراق العصرية.
- الغامدي، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، (1423هـ - 2002م)، البيهقي وموقفه من الإلهيات، - جامعة الملك عبد العزيز، الطبعة الثانية، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (1420هـ - 1999م)، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، الطبعة الرابعة، الناشر: دار ابن الجوزي.
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، (1426هـ - 2005م)، القاموس المحيط، الطبعة الثامنة، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- الفيومي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، (د.ت)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
- الجزري، السنن الإلهية وعلاقتها بقضايا العقيدة، مقال في مجلة منار الإسلام للأبحاث والدراسات.
- للدكتور محمد هيشور، (1417هـ - 1996م)، السنن الإلهية في قيام الحضارات وسقوطها، الطبعة الأولى، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة.
- للشيخ عبد المجيد الزنداني، (د.ت)، كتاب توحيد الخالق .
- مجدي عاشور، (1425هـ - 2004م)، مدخل إلى دراسة السنن الإلهية في القرآن الكريم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي
- مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي
- محمد اسحاق كندو، (د.ت) منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه فتح الباري، - مكتبة الرشد - الرياض.
- محمد الصادق عرجون، (1391هـ - 1971م)، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن الكريم، محمد الصادق عرجون، أستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة..
- محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، (1421هـ)، شرح العقيدة الواسطية، الطبعة السادسة، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
- محمد بن عبد الله باجمعان، (د.ت) السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ومكانتها من حيث الاحتجاج والعمل، (د.ط)، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة
- محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبد الله، بدر الدين البعلبي (المتوفى: 778هـ)، مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، المحقق: عبد المجيد سليم - محمد حامد الفقهي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية - تصوير دار الكتب العلمية

- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، (1414هـ)، فتح القدير، الطبعة الأولى، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.
- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، (1990م)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- محمد صديق حسن خان القنوجي البخاري، (المتوفى سنة 1253هـ)، (1415هـ-1995م)، الدين الخالص، الطبعة الأولى، ضبطه وحققه محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية.
- محمد فريد وجدي، (1354هـ)، مهمة الدين الإسلامي في العالم، دعوته إلى تعريف السنن الإلهية في الجماعات البشرية، محمد فريد وجدي، مطبعة الأزهر .
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، (د.ت.)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
- مصطفى الخن و مستو محي الدين. (د.ت.)، العقيدة الإسلامية أركانها - حقائقها - مفسداتها، دمشق - بيروت: دار الكلم الطيب.
- مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: 1384هـ)، (1402هـ-1982م)، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الطبعة الثالثة، الناشر: المكتب الإسلامي: دمشق - سوريا، بيروت - لبنان.
- مؤتمر كلية الشريعة الخامسة السنن الإلهية في الكتاب والسنة، جامعة الزرقاء الأهلية، تحرير أنور الشلتوتي وجمال أبو حسان، 23-25 جمادى الأولى 1424هـ - 22-25/7/2003م
- نصر الله الشريف، (د.ت.)، سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم، (د.ط.).
- الهوري: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، (2001م)، تهذيب اللغة، الطبعة الأولى/ المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- يوسف القرضاوي، (د.ت) الإيمان بالقدر، مكتبة وهبة - القاهرة .
- يوسف القرضاوي، (1402هـ)، الصحة الإسلامية بين الجحود والتطرف، الطبعة الثالثة .

ثانياً: قائمة المراجع الأجنبية والمرومنة:

- Ibrahim Al-Wazir: (1409 AH-1989 AD), **on the outskirts of the fifth century AH - a study of the divine laws and contemporary Muslims** (In Arabic), fourth edition, Dar Al-Shorouk.
- Ibn Abi Al-Izz Al-Hanafi, (1391 AH), **Explanation of the Tahawiyah Creed**, (In Arabic), Fourth Edition, Publisher: The Islamic Bureau - Beirut.
- Ibn al-Atheer: Majd al-Din Abu al-Saadat al-Mubarak ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim al-Shaibani al-Jazari (deceased: 606 AH), (1399 AH - 1979 AD), **The End in the Strange Hadith and Impact**, (In Arabic), Publisher: Scientific Library - Beirut, investigated by: Taher Ahmed Al-Zawy - Mahmoud Muhammad Al-Tanahi.
- Ibn Taymiyyah: Taqi Al-Din Abu Al-Abbas Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam bin Abdullah bin Abi Al-Qasim bin Muhammad bin Taymiyyah Al-Harrani Al-Hanbali Al-Dimashqi (deceased: 728 AH), (d.t.), the **question of whether the slave loves what is good, right and Mahmud in himself**, (In Arabic), investigator: Dr. Muhammad Rashad Salem.
- Ibn Taymiyyah: Taqi Al-Din Abu Al-Abbas Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam bin Abdullah bin Abi Al-Qasim bin Muhammad bin Taymiyyah Al-Harrani Al-Hanbali Al-Dimashqi

(deceased: 728 AH), (1403 AH) **Al-Istiqama**, (In Arabic), first edition, investigator: Dr. Muhammad Rashad Salem, publisher: Al-Imam Muhammad bin Saud University - Medina.

Ibn Taymiyyah: Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Abd al-Salam ibn Abdullah ibn Abi al-Qasim ibn Muhammad ibn Taymiyyah al-Harrani al-Hanbali al-Dimashqi (deceased: 728 AH), (d.t.), **I do what was said about fate, predestination, wisdom and reasoning. (In Arabic).**

Ibn Taymiyyah: Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Abd al-Salam ibn Abdullah ibn Abi al-Qasim ibn Muhammad ibn Taymiyyah al-Harrani al-Hanbali al-Dimashqi (deceased: 728 AH), **Qaida fi al-Mahaba**, (In Arabic), Investigator: Muhammad Rashad Salem, Publisher: Islamic Heritage Library, Cairo, Egypt.

Ibn Taymiyyah: Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Abd al-Salam ibn Abdullah ibn Abi al-Qasim ibn Muhammad ibn Taymiyyah al-Harrani al-Hanbali al-Dimashqi (deceased: 728 AH), (1424 AH-2003 AD), **the poem T fi al-Qadr**, (In Arabic), first edition, explained and investigated by: Muhammad bin Ibrahim al-Hamad, publisher: Dar Ibn Khuzaymah – Riyadh.

Ibn Taymiyyah: Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Abd al-Salam ibn Abdullah ibn Abi al-Qasim ibn Muhammad ibn Taymiyyah al-Harrani al-Hanbali al-Dimashqi (deceased: 728 AH), (1406 AH-1986 AD), **The Curriculum of the Prophet's Sunnah in Refuting the Words of the Qadari Shiites**, (In Arabic), First Edition, Investigator: Muhammad Rashad Salem, Publisher: Imam Muhammad bin Saud Islamic University.

Ibn Taymiyyah: Taqi Al-Din Abu Al-Abbas Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam bin Abdullah bin Abi Al-Qasim bin Muhammad bin Taymiyyah Al-Harrani Al-Hanbali Al-Dimashqi (deceased: 728 AH), (1422 AH - 2001 AD), **Jami' Al-Rasa'al**, (In Arabic), first edition, investigator: Dr. Muhammad Rashad Salem, publisher: Dar Al-Atta'a - Riyadh.

Ibn Taymiyyah, (d.t.), **Ibn Taymiyyah's philosophy of happiness (In Arabic)** .

Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim al-Harrani (deceased: 728 AH) (1416 AH / 1995 AD), **Majmoo' al-Fatawa**, (In Arabic), Investigator: Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Qasim, Medina of the Prophet, Saudi Arabia: King Fahd Complex for Printing the Holy Qur'an.

Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Abd al-Salam ibn Abdullah ibn Abi al-Qasim ibn Muhammad ibn Taymiyyah al-Harrani al-Hanbali al-Dimashqi (deceased: 728 AH), **The Good and the Bad**, (In Arabic), Publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon.

Ibn Taymiyyah, Taqi Al-Din Abu Al-Abbas Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam bin Abdullah bin Abi Al-Qasim bin Muhammad bin Taymiyyah Al-Harrani Al-Hanbali Al-Dimashqi (deceased: 728 AH), (1411 AH 0 1991 AD), **Warding off the conflict of reason and transmission**, (In Arabic), second edition, investigated by: Dr. Muhammad Rashad Salem, publisher: Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Kingdom of Saudi Arabia.

Ibn Taymiyyah, Taqi Al-Din Abu Al-Abbas Ahmed bin Abdul Halim bin Abdul Salam bin Abdullah bin Abi Al-Qasim bin Muhammad Ibn Taymiyyah Al-Harrani Al-Hanbali Al-Dimashqi (deceased: 728 AH), (1404 AH), **Minutes of Comprehensive Interpretation of Ibn Taymiyyah's Interpretation**, (In Arabic), Second Edition, Investigator: Dr. Muhammad Al-Sayyid Al-Jaland, Publisher: Qur'an Sciences Foundation - Damascus,

Ibn Ashour: Muhammad Al-Taher bin Muhammad bin Muhammad Al-Taher bin Ashour Al-Tunisi (deceased: 1393 AH), (1984 AH), Liberation and Enlightenment "Liberation of the Good Meaning and Enlightenment of the New Mind from the Interpretation of the Glorious Book", Publisher: Tunisian Publishing House - Tunisia.

Ibn Faris: Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, Abu Al-Hussein (deceased: 395 AH), (1399 AH-1979 AD), **Dictionary of Language Standards**, (In Arabic), Investigator: Abdul Salam Muhammad Haroun, Publisher: Dar Al-Fikr.

Ibn Qayyim al-Jawziyyah: Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub ibn Saad Shams al-Din ibn Qayyim al-Jawziyya (deceased: 751 AH), (1398 AH-1978 AD), **Shifa' al-'Alil fi Matters of Fate, Wisdom, and Reasoning**, (In Arabic), Publisher: Dar al-Maarifa, Beirut, Lebanon.

Ibn Qayyim al-Jawziyyah: Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub ibn Saad Shams al-Din ibn Qayyim al-Jawziyyah (deceased: 751 AH), (1416 AH - 1996 AD), **runways of the walkers between the houses of you we worship and you do not seek help**, (In Arabic), third edition, investigator: Muhammad al-Mu'tasim Billah al-Baghdadi, publisher: Dar al-Kitab al-Arabi – Beirut.

Ibn Qayyim al-Jawziyyah: Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub ibn Saad Shams al-Din ibn Qayyim al-Jawziyyah (deceased: 751 AH), the key to Dar al-Sa'ada **and the publication of the wilayat al-ilm wal-iradah**, (In Arabic), publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya – Beirut.

Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub ibn Saad Shams al-Din ibn Qayyim al-Jawziyyah (deceased: 751 AH), (1393 AH-1973 AH), **al-Mufa'id**, (In Arabic), second edition, publisher: Dar al-Kutub al-Ilmiyya – Beirut.

Ibn Kathir, Abu al-Fida Ismail bin Omar bin Katheer al-Qurashi al-Basri then al-Dimashqi (deceased: 774 AH), (1420 AH - 1999 AD), Interpretation of the **Great Qur'an**, (In Arabic), second edition, investigator: Sami bin Muhammad Salama, publisher: Dar Taiba for Publishing and Distribution.

Ibn Manzur: Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwaifi al-Ifriqi (deceased: 711 AH), (1414 AH), **Lisan al-Arab**, third edition, publisher: Dar Sader – Beirut.

ABou Bakr Al-Jazaeri, (d.t.). **The Believer's Creed** (In Arabic), Saudi Science and Governance Library Dar Al-Aqeedah.

Abu Abdullah Muhammad bin Ahmed bin Abi Bakr bin Farah Al-Ansari Al-Khazraji Shams Al-Din Al-Qurtubi (deceased: 671 AH), (1384 AH - 1964 AD), **The Collector of the Provisions of the Qur'an = Tafsir Al-Qurtubi**, (In Arabic), Second Edition, edited by: Ahmed Al-Bardouni and Ibrahim Atfaish, Publisher: Egyptian House of Books - Cairo.

Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah bin Sahl bin Saeed bin Yahya bin Mahran Al-Askari (deceased: circa 395 AH), (d.t.), **linguistic differences**, (In Arabic), edited and commented on: Muhammad Ibrahim Selim, Publisher: Dar Al-Alam and Culture for Publishing and Distribution, Cairo - Egypt

Ahmed bin Ali bin Hajar Al-Asqalani Abu Al-Fadl Al-Shafi'i. (1379H). **Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari**, (In Arabic), Beirut: Dar al-Maarifa.

Al-Ashqar: Omar bin Suleiman bin Abdullah Al-Ashqar Al-Otaibi, (1419 AH - 1999 AD), **The Creed in God**, (In Arabic), Twelfth Edition, Publisher: Dar Al-Nafais for Publishing and Distribution, Jordan.

Al-Isfahani: Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad al-Maarouf al-Ragheb al-Isfahani (deceased: 502 AH), (1412 AH), **Vocabulary in the Strangeness of the Qur'an**, (In Arabic), First Edition, Investigator: Safwan Adnan Al-Daoudi, Publisher: Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya - Damascus, Beirut,

Alaa Al-Fawara (2007), **The Divine Sunnahs in the Human Soul in the Prophet's Hadith**, (In Arabic), Al al-Bayt University.

Ayman Al-Maghribi, (1427 AH-1428 AH), **The Divine Sunnahs in Changing Societies in the Light of the Noble Qur'an in** (In Arabic), Collection and Study, Ayman Al-Maghribi, Master's thesis submitted by the researcher Ayman Al-Maghribi, um Al-Qura University.

Al-Bukhari: Muhammad bin Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari Al-Jaafi, (1422 AH) Al-Jami' Al-Musnad Al-Sahih **Al-Mukhtasar from the Things of the Messenger of Allah - may God's prayers and peace be upon him - his Sunnah and his days = Sahih Al-Bukhari**, (In Arabic), first edition, investigator: Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser, publisher: Dar Tuq Al-Najat.

Al-Baydawi: Nasir al-Din Abu Saeed Abdullah bin Omar bin Muhammad al-Shirazi al-Baydawi (deceased: 685 AH), (1418 AH), **Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil**, (In Arabic), first

edition, investigator: Muhammad Abd al-Rahman al-Maraashli, publisher: Dar Revival of Arab Heritage – Beirut.

Al-Tirmidhi, Muhammad bin Isa bin Surat bin Musa bin Al-Dahhak, Al-Tirmidhi, Abu Issa (deceased: 279 AH), (1395 AH - 1975 AD), **Sunan Al-Tirmidhi**, (In Arabic), second edition, investigation and commentary: Ahmed Muhammad Shaker (vol. 1, 2), Muhammad Fouad Abdul Baqi (vol. 3), Ibrahim Atwa Awad, teacher at Al-Azhar Al-Sharif (vol. 4, 5), publisher: Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press Company - Egypt.

Tawfiq Al-Ghalabzouri, (d.t.), **The Cosmic and Social Sunnahs in the Noble Qur'an**, (In Arabic), by Dr., Faculty of Fundamentals of Religion - University of Al-Qarawiyyin - Kingdom of Morocco

Al-Gohari: Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Gohari Al-Farabi (deceased: 393 AH), (1407 AH - 1987 AD), **Al-Sahih Taj Al-Lughah and Al-Sahih Al-Arabiya**, (In Arabic), Fourth Edition, edited by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Publisher: Dar Al-Ilm Li Malayan - Beirut.

Hafez bin Ahmed Al-Hakami - (d.t.) **Allam Al-Sunnah published for the belief of the victorious surviving sect** - (In Arabic).

Al-Hijazi, Muhammad Mahmoud, (1413 AH), **The Clear Interpretation**, (In Arabic), Tenth Edition, Publisher: Dar Al-Jeel Al-Jadeed - Beirut.

Hosni Muhammad Al-Attar, (d.t.), **Divine Sunnahs and the Human Renaissance Movement**. (In Arabic).

Al-Khatib: Muhammad Ajaj bin Muhammad Tamim bin Saleh bin Abdullah Al-Khatib, (1400 AH - 1980 AD), the **year before codification The origin of this book**: (In Arabic), Master's thesis from the Faculty of Dar Al-Uloom, Cairo University, third edition, publisher: Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon.

Al-Darimi: Muhammad bin Hibban bin Ahmed bin Hibban bin Muadh bin Ma'bad, Al-Tamimi, Abu Hatem, Al-Darimi, Al-Basti (deceased: 354 AH), (1424 AH - 2003 AD), **Al-Hassan's Commentaries on Sahih Ibn Hibban and Distinguishing His Sickness from His Sahih, and His Abnormal from His Archives**, (In Arabic), First Edition, arranged by: Prince Abu Al-Hassan Ali bin Balban bin Abdullah, Alaa Al-Din Al-Farsi Al-Hanafi (deceased: 739 AH), author of Al-Hassan's commentaries: Abu Abd al-Rahman Muhammad Nasir al-Din, ibn al-Hajj Nuh ibn Najati ibn Adam, al-Ashqoudari al-Albani (deceased: 1420 AH), Publisher: Dar Ba Wazir for Publishing and Distribution, Jeddah - Kingdom of Saudi Arabia.

Al-Razi: Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi Khatib Al-Rai (deceased: 606 AH), (1420 AH), **Keys to the Unseen = Al-Tafsir Al-Kabir**, (In Arabic), Third Edition, Publisher: Dar Revival of Arab Heritage - Beirut.

Al-Zubaidi, Muhammad bin Muhammad bin Abdul Razzaq Al-Husseini, Abu Al-Fayd, nicknamed Murtada, Al-Zubaidi (deceased: 1205 AH), (d.t.), **The Crown of the Bride from the Jewels of the Dictionary**, (In Arabic), Investigator: A Group of Investigators, Publisher: Dar Al-Hidaya

Al-Zuhaili: Wahba bin Mustafa Al-Zuhaili, (1418 AH), **The Enlightening Interpretation of Creed, Sharia and Methodology**, (In Arabic), Second Edition, Publisher: Dar Al-Fikr Al-Muasher - Damascus.

Zaghloul Al-Najjar, (1428 AH-2007 AD). **Interpretation of the Cosmic Verses in the Holy Qur'an**, (In Arabic), First Edition, Al-Shorouk International Library.

Al-Zamakhshari: Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmed, Al-Zamakhshari Jarallah (deceased: 538 AH), (1407 AH), **Al-Kashf for the facts of the mysteries of the download**, (In Arabic), third edition, publisher: Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut.

Al-Zahrani: Abu Yasser Muhammad bin Matar bin Othman Al Matar Al-Zahrani (deceased: 1427 AH), (1417 AH - 1996 AD), **Codification of the Prophet's Sunnah: Its Origin and**

Development from the First Century to the End of the Ninth Century AH, (In Arabic), First Edition, Publisher: Dar Al-Hijra for Publishing and Distribution, Riyadh, Saudi Arabia.

Zain al-Din Abd al-Rahman ibn Ahmad ibn Rajab ibn al-Hassan, al-Salami, al-Baghdadi, then al-Dimashqi, al-Hanbali (deceased: 795 AH), (1424 AH - 2003 AD), **Kashf al-Karba fi Wassef Ahl al-Ghuraba**, (In Arabic), second edition, study and investigation: Abu Musab Talaat bin Fouad al-Halawani, publisher: Al-Farouq Al-Haditha for Printing and Publishing,

Zainab Mansour (2001), **Astronomical Encyclopedia, Universe, Space, Earth**, (In Arabic), First Edition, Amman, Jordan.

Al-Safarini: Shams Al-Din, Abu Al-Oun Muhammad bin Ahmed bin Salem Al-Saffarini Al-Hanbali (deceased: 1188 AH), (1402 AH - 1982 AD), **Luminaries of Gorgeous Lights and Shining Archaeological Secrets to Explain Al-Durra Al-Madhiyyah in the Contract of the Sick Band**, (In Arabic), Second Edition, Publisher: Al-Khafiqa Foundation and its Library - Damascus.

Sayyid Sabiq (deceased: 1420 AH), **Islamic Beliefs**, (In Arabic), Publisher: Dar Al-Kitab Al-Arabi - Beirut

Al-Sayyid Sabiq, (d.t.), **Islamic beliefs**, (In Arabic), Publisher: Al-Fath for Arab Media, Cairo Mr. Taha, (DT), **Divine Sunnahs and their impact on understanding reality** (In Arabic).

Sayyid Qutb, Ibrahim Hussein al-Sharbi. (1412H). **In the shadows of the Qur'an**. (In Arabic), Seventeenth Edition, Beirut-Cairo: Dar Al-Shorouk

Sharif Al-Khatib, (1415 AH - 2004 AD), **Divine Sunnahs in Human Life and the Impact of Belief in Them on Belief and Behavior**, (In Arabic), First Edition .

Al-Shawkani: Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah Al-Shawkani Al-Yamani (deceased: 1250 AH), (1419 AH - 1999 AD), **Guiding Stallions to Achieve the Right from the Science of Fundamentals**, (In Arabic), First Edition, Investigator: Sheikh Ahmed Ezzo Enaya, Damascus - Kafr Batna, presented to him: Sheikh Khalil Al-Mays and Dr. Wali Al-Din Saleh Farfour, Publisher: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Abd al-Akher al-Ghunaimi, (1437), **The Divine Grant in the Refinement of Sharh al-Tahawiyah**, (In Arabic), first edition, Dar Ibn al-Jawzi.

Abdul Rahman Hassan Hanbaka Al-Midani. (1399 AH - 1979 AD). **The Islamic Creed and its Foundations** - Second Edition - Dar Al-Qalam - Damascus - Beirut.

Abdul Karim Zaidan, (In Arabic), (d.t) **Divine Sunnahs in Nations, Groups and Individuals in Islamic Law**, (In Arabic), Al-Resala Foundation.

Abd al-Karim Yunus al-Khatib (deceased: after 1390 AH), **Quranic Interpretation of the Qur'an**, (In Arabic), Publisher: Dar al-Fikr al-Arabi – Cairo.

Abdullah bin Abdul Qadir Al-Talidi (d.t.). (D.I). **Evidence of monotheism based on the Qur'an and the universe**. (In Arabic), Dar Ibn Hazm.

Abdul Mohsen bin Hamad bin Abdul Mohsen bin Abdullah bin Hamad Al-Abbad Al-Badr, (1423 AH - 2002 AD), **Picking the proximate genie Explanation of the introduction to the message of Ibn Abi Zayd Al-Qayrawani**, (In Arabic), first edition, publisher: Dar Al-Fadila, Riyadh, Saudi Arabia.

Ali Muhammad Muhammad Al-Sallabi, (1432 AH - 2011 AD), **Belief in Destiny**, (In Arabic), Second Edition, Dar Al-Maarifa, Beirut, Lebanon.

Imad Al-Din Khalil, (1403 AH) **on Reshaping the Muslim Mind**, (In Arabic), First Edition.

Imad Al-Din Khalil, (1405 AH - 1985 AD), **Introduction to the Position of the Noble Qur'an on Science**, (In Arabic), Second Edition, Al-Resala Foundation.

Imad Khasawneh and Khader Qazak, Al-Manara Magazine, Volume Fifteen, 2009, **The Divine Sunnahs in the Noble Qur'an and their Role in Foreseeing the Future** (In Arabic) .

Omar Al-Arabawi Al-Hamalawy (deceased: 1405 AH), (1404 AH-1984 AD), **monotheism called "Abandoning tradition and having a useful origin"**, (In Arabic), Publisher: Al-Waraqa Al-Asriya Press.

Al-Ghamdi, Ahmed bin Attia bin Ali Al-Ghamdi, (1423 AH - 2002 AD), **Al-Bayhaqi and his position on theology**, (In Arabic), King Abdulaziz University, Second Edition, Publisher: Deanship of Scientific Research at the Islamic University, Medina, Saudi Arabia.

Al-Fawzan, Saleh bin Fawzan bin Abdullah Al-Fawzan (1420 AH-1999 AD), **Guidance to the Sahih of Belief and Response to the People of Shirk and Atheism**, (In Arabic), Fourth Edition, Publisher: Dar Ibn Al-Jawzi.

Al-Fayrouzabadi, Majd Al-Din Abu Taher Muhammad bin Yaqoub Al-Firouzabadi (deceased: 817 AH), (1426 AH-2005 AD), **The Ocean Dictionary**, (In Arabic), Eighth Edition, Edited by: Heritage Investigation Office at Al-Resala Foundation, supervised by: Muhammad Naim Al-Arqsusi, Publisher: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution, Beirut - Lebanon.

Al-Fayoumi: Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Fayoumi, then Al-Hamawi, Abu Al-Abbas (deceased: about 770 AH), (d.t.), **The Luminous Lamp in the Strange Great Commentary**, (In Arabic), Publisher: Scientific Library - Beirut.

Al-Kazri, **Divine Sunnahs and their Relationship to Issues of Faith**, (In Arabic), article in Manar Al-Islam Journal for Research and Studies.

By Dr. Muhammad Hayshour, (1417 AH-1996 AD), **The Divine Sunnahs in the Rise and Fall of Civilizations**, (In Arabic), First Edition, International Institute of Islamic Thought - Cairo.

By Sheikh Abdul Majeed Al-Zindani, (d.t.), the **book of monotheism of the creator**. (In Arabic).

Majdi Ashour, (1425 AH - 2004 AD), **Introduction to the Study of the Divine Sunnahs in the Holy Qur'an**, (In Arabic), International Institute of Islamic Thought .

Al-Bayan Magazine, issued by the Islamic Forum

Muhammad Ishaq Kendo - (d.t) **Al-Hafiz Ibn Hajar Al-Asqalani's approach to faith through his book Fath Al-Bari** - (In Arabic), Al-Rushd Library - Riyadh.

Muhammad Al-Sadiq Arjun, (1391 AH - 1971 AD), **The Sunnah of God in Society through the Holy Qur'an**, (In Arabic), Muhammad Al-Sadiq Arjun, Professor at the Islamic University in Madinah. .

Muhammad bin Saleh bin Muhammad Al-Uthaymeen (deceased: 1421 AH), (1421 AH), **Sharh Al-Aqeedah Al-Wasitiyyah**, (In Arabic), sixth edition, his hadiths were produced and taken care of: Saad bin Fawaz Al-Sumail, Publisher: Dar Ibn Al-Jawzi for Publishing and Distribution, Kingdom of Saudi Arabia.

Muhammad bin Abdullah Bajaman - (d.t) **The Sunnah of the Prophet - the second source of Islamic legislation and its place in terms of protest and work** - (In Arabic), Publisher: King Fahd Complex for Printing the Holy Quran in Madinah

Muhammad bin Ali bin Ahmed bin Omar bin Ya'li, Abu Abdullah, Badr al-Din al-Baali (deceased: 778 AH), a summary **of the Egyptian fatwas by Ibn Taymiyyah**, (In Arabic), investigator: Abdul Majeed Selim - Muhammad Hamid al-Fiqi, publisher: Al-Sunnah Al-Muhammadiyah Press - Photo by Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya

Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah Al-Shawkani Al-Yamani (deceased: 1250 AH), (1414 AH), **Fath Al-Qadeer**, (In Arabic), first edition, publisher: Dar Ibn Kathir, Dar Al-Kalam Al-Tayeb - Damascus, Beirut.

Muhammad Rashid bin Ali Reda bin Muhammad Shams Al-Din bin Muhammad Bahaa Al-Din bin Manla Ali Khalifa Al-Qalamuni Al-Husseini (deceased: 1354 AH), (1990 AD), **Interpretation of the Holy Qur'an (Tafsir Al-Manar)**, (In Arabic), Publisher: Egyptian General Book Authority.

Muhammad Siddiq Hassan Khan Al-Qanuji Al-Bukhari, (d. 1253 AH), (1415 AH-1995 AD), **Al-Din Al-Khalis**, (In Arabic), first edition, edited and edited by Muhammad Salem Hashim, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Muhammad Farid Wajdi, (1354 AH), **The Mission of the Islamic Religion in the World, His Call for the Definition of Divine Sunnahs in Human Groups**, (In Arabic), Muhammad Farid Wajdi, Al-Azhar Press.

Muslim bin Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Nisaburi (deceased: 261 AH), (d.t.), **Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar bi-Naql Al-Adl from Justice to the Messenger of Allah - may God's prayers and peace be upon him** - (In Arabic), Investigator: Muhammad Fouad Abdel-Baqi, Publisher: House of Revival of Arab Heritage - Beirut

Mustafa Al-Khan and Masto Mohiuddin. (DT) **The Islamic Creed - Its Pillars - Its Facts - Its Spoilers**, (In Arabic), Damascus - Beirut: Dar Al-Kalam Al-Tayeb.

Mustafa bin Husni Al-Sibai (deceased: 1384 AH), (1402 AH - 1982 AD), **The Sunnah and its Status in Islamic Legislation**, (In Arabic), Third Edition, Publisher: Islamic Office: Damascus - Syria, Beirut - Lebanon.

The Fifth Conference of the Faculty of Sharia - Divine Sunnahs in the Qur'an and Sunnah - (In Arabic), Zarqa National University - edited by Anwar Al-Shaltouti and Jamal Abu Hassan - 23-25 Jumada Al-Awwal 1424 AH - 22-25/7/2003 AD

Nasrallah Al-Sharif, (dt), **The Sunnah of God in the Punishment of Nations in the Holy Qur'an**, (In Arabic), .

Al-Harawi: Muhammad bin Ahmed bin Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour (deceased: 370 AH), (2001 AD), **Language Refinement**, (In Arabic), First Edition / Investigator: Muhammad Awad Merheb, Publisher: House of Revival of Arab Heritage - Beirut.

Youssef Al-Qaradawi, (d.t.) **Belief in Destiny**, (In Arabic), Wahba Library - Cairo .

Yusuf Al-Qaradawi, (1402 AH), **The Islamic Awakening between Ingratitude and Extremism**, (In Arabic), Third Edition .